أرشيفو

ARCHIVO

نشـرة تهتم بموضوعات الأرشـيف تصدر عن
مركـــــز أوال للـدراســـــات والتوثيـــق

أرشيفو
ARCHIVO

نشرة تهتم بموضوعات الأرشيف تصدر عن
مركز أوال للدراسات والتوثيق
العدد 4 -كانون الأول/يناير 2016

نشرة تصدر كل شهرين عن مركز أوال للدراسات والتوثيق، تحت عنوان (أرشيفو) تعنى بقضايا الأرشيف، تنطلق من البحرين إلى الخليج إلى العالم العربي وخارجه.

تغطي النشرة المجالات التالية: المشكلات التي تواجه الأرشيف، طرق حفظ الأرشيف، التعريف بأصحاب الأرشيف الأهلي ومراكز الإرشيف الرسمي، التعريف بالمدونات والمواقع الإلكترونية المهتمة بالوثائق والأرشيف، ترجمة المقالات المنشورة بلغات أجنبية، مراجعة الكتب المتعلقة بالأرشيف ومتابعة الأنشطة والفعاليات ذات العلاقة بالذاكرة والأرشيف.

عنوان النشرة يشير إلى أن كلمة (أرشيف Archives) متقاربة النطق والكتابة والجذر في أغلب لغات العالم، وفي اللغة البرتغالية تنطق هكذا (أرشيفو Arguiv).

رئيس التحرير : د. علي الديري
مدير التحرير : وسام السبع
سكرتيرة التحرير : آلاء هاشم

مركز أوال للدراسات والتوثيق
AWAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION
info@awalcentre.com | www.awalcentre.com
awalcentre

الفهرس

1 | الافتتاحية 5
الأرشيف: الوجود والعدم 5

2 | أمناء الذاكرة 7
المؤرخ حسن نصرالله: عمود سامق من أعمدة بعلبك 7

3 | ديوان الذاكرة 17
أرشيف الإذاعة ذو خصوصيّة، وقديمُه يرمز إلى هُويّتها 17

4 | ثقافة أرشيفية 23
الأرشيف الوطنيّ الأميركيّ: حارس لتاريخ شعبٍ وبلد 23
كيف تُصان الذاكرة من الإلغاء المتعمد؟ عن العبودية في جزر القمر 29

5 | وثيقة وحكاية 35
عشّ النمل 35

6 كشكول 43
أديم الأرض (ا) 43
تعليم الصَّلاة في قريتي! 56
الوثائق الأحسائيّة ذاكرة حيّة لعصور مضت 62

7 متابعات 67

8 ذاكرة الصورة 83
سند..قصّة أرض بحرينية طيّبة 83

الافتتاحية

رئيس التحرير

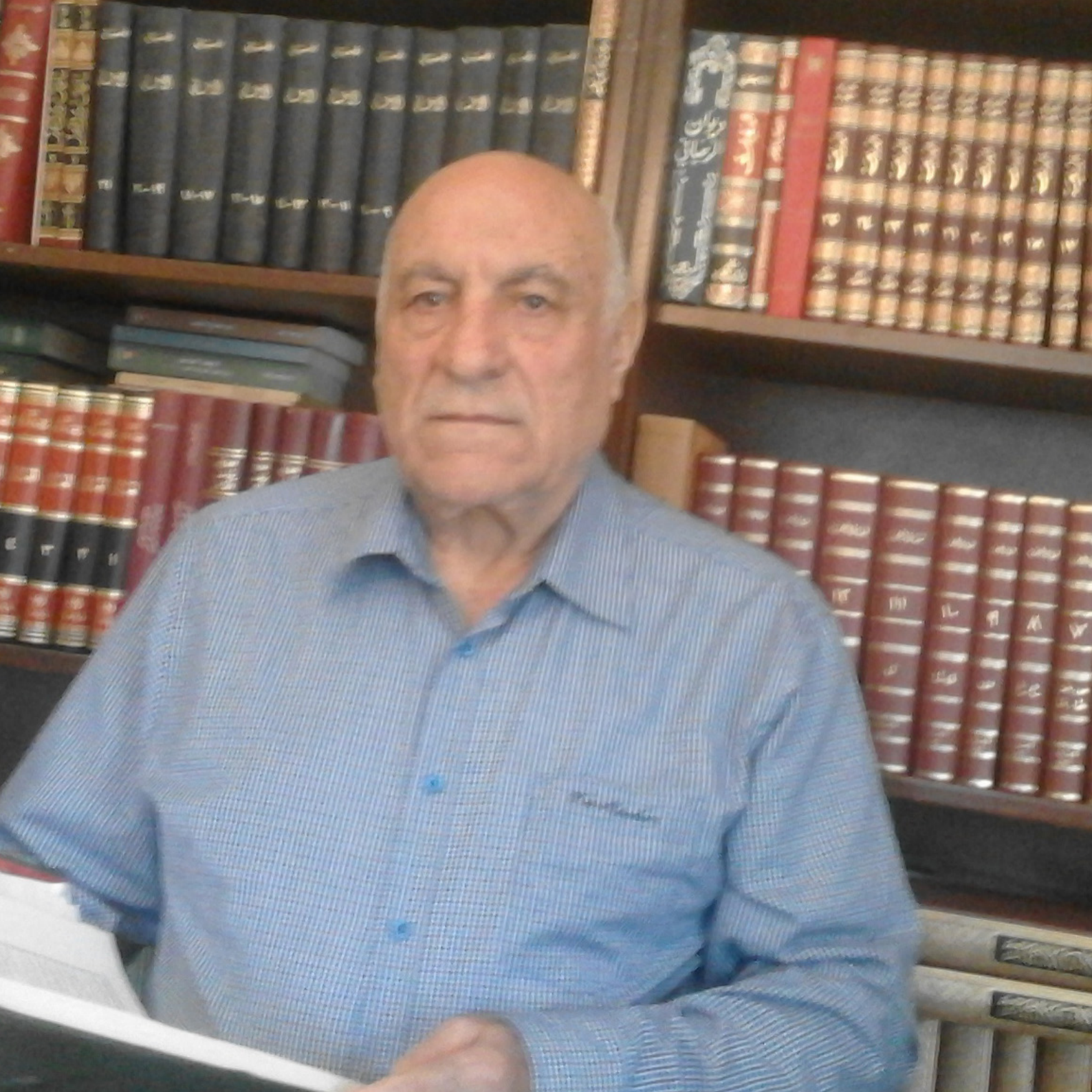

أمناء الذاكرة

المؤرخ حسن نصرالله..
عمود سامق من أعمدة بعلبك

زينب الطحان

في أيام الأتراك، كانت المدرسة تسمّى «الكُتّاب». كانت تضمّ شيخًا أو شيخةً وبضعة تلاميذ، يجلسون على حصيرٍ. في بغداد، كان يُطلق على مشايخ الكتّاب اسم الملالي. كانوا من أفغانستان وباكستان، ويلفظون القاف غيناً. وقد ورد في كتب التاريخ، أنَّ تلميذًا أتى إلى والده ليقرأ له، فقرأ القاف غينًا، فاستاء الوالد وذهب إلى الملّة، وقال له: أنتم تعلّمون أبناءنا اللغة العربيَّة خطأ، فقال له: كيف؟ فسأل الوالد: هل تعلّمونهم القاف غيناً؟! فقال الملّة مستنكراً: «لا أبداً، ومن يغول ذلك؟!».

في جعبة الدكتور المؤرّخ حسن نصرالله حكايات شيّقة عن التاريخ العربي والإسلامي، وعن الأدب والدين والفقه واللغة والشعوب والمدن. يعود بنا بذاكرته الغضّة التي لا تنسى شيئاً إلى كلّ تلك التواريخ. كانت بداية عهده مع الكلمة والقلم في «كُتّاب بعلبك» لدى «الشيخة». أمّا المدارس، فقد بدأ انتشارها في لبنان في العام 1950، وكان اسمها المدرسة «الروفديّة»، وهو اسم تركي. كانت تعلّم العلوم العصريّة إلى جانب اللغتين العربية والأجنبية، والعلوم الطبيعية، والجغرافيا، والتاريخ، وأحياناً الفلسفة. يروي الدكتور نصر الله أنّ هذه العلوم لم تكن تُدرَّس في أيام «الشيخة»، وأنّ اللغة العربية كانت تدرّس وحدها إلى جانب القرآن الكريم. ومن ينهِ دروسه لدى «الشيخة»، يعد إلى أهله، أو يذهب إلى الحوزة العلمية.

يقول الدكتور نصر الله: «تعلَّمت القرآن الكريم لدى الشَّيخة، وحفظت السّور القصار والمتوسطة. وقد كان للقرآن دور كبير في تشكيل ثقافتي الإسلامية، وهو أمر ظاهر في كلّ كتاباتي، سواء من حيث الأسلوب أو المضمون. كان أول

كتاب أقتنيته هو القرآن الكريم، ومن ثمّ كتاب نهج البلاغة. من المعلوم أنّ القرآن الكريم هو أول كتاب في اللغة العربية، فنحن لا نجد قبله كتباً مخطوطة أو مطبوعة. طبعاً، كان الشّعر موجودًا، وله ورواة يحفظونه، إلى جانب القصص القصيرة غير المكتوبة، ولكن لم يصلنا قبل القرآن الكريم، ولو قصيدة أو معلّقة واحدة، على قرطاس أو على جلد».

سيرة مع «التكامل المكتبي»

المؤرخ الدكتور حسن نصرالله من مواليد مدينة بعلبك في العام 1941. درس وتعلّم وتخرّج في لبنان. درّس اللغة العربية في مدارس البقاع، ومن ثمّ في جامعاتها. يروي لنا مسيرةً حافلةً له مع الكتاب والمعرفة، وهو الذي نهل أوّل علومه من القرآن الكريم، الذي وردت فيه كلمة الكتاب 250 مرّة، ويعني به الكلمة والحرف والعلم، كما يعني «الله سبحانه تعالى»، الذي يعتبر مفتاح هذا الكنز الإنساني العريق.

يأسف نصر الله لعدم وصول المعلّقات إلينا من التراث العربي الجاهلي، مشيراً إلى أنّ القرآن الكريم كان الكتاب الأول المدوّن باللغة العربية. وقد دُوِّن على أقتاب الجمال، والخشب، والحجارة الرقيقة، والفخار، والجلد، وورق الغزال. كان كتبة الوحي يكتبون الآيات، فيجمعهم الرسول (ص) في غرفة بشكلٍ غير مرتّب. وبعد وفاته، كان جمع القرآن أمرًا لا بدّ منه، وقد كان أوّل من جمعه هو الإمام علي (ع) بوصيّة من النبي (ص). وعندما طُلب إلى بيعة أبي بكر، قال: «آليت ألّا أضع ردائي على كتفي إلا للصلاة، حتّى أجمع القرآن»، وكتبه على القرطاس.

اليوم، تضمّ مكتبة المؤرخ نصر الله التي بدأ بتأسيسها في العام 1957، عشرين ألف كتاب. لم يعد بيته يتّسع للمزيد من الكتب التي راح يوزّعها هنا وهناك. كان يجد صعوبة إلى حدٍّ ما في تأمين بعض الكتب والموسوعات، فكان يسافر أحياناً، ويوصي على بعضها من بلدان العالم العربي والإسلامي في أحيان أخرى. وهناك كتب كان يدفع مبالغ طائلة للحصول عليها، وخصوصًا الطبعات الأولى منها. كان الدافع الأساس إلى ذلك كونه باحثاً وكاتباً، وهو ما يفرض عليه تأمين الكثير من الكتب والمصادر والمراجع.

للسيد نصرالله اهتمام خاصّ بالكتب التراثية والقديمة في مختلف العلوم، إلى جانب الكتب الحديثة التي لا تعدّ، ما يمكّنك من أن تطلق على مكتبته اسم «التكامل المكتبي»، وهي صفة يحبّها ويستحقّها بجدارة، فإن قمت بجردة عامة في مكتبته الضخمة، فستجد كتب علوم القرآن، الحديث، المعاجم، التراجم، كتب التاريخ (تأريخ المدن والبلدان)، كتب الفقه، كتب الشعر، المجامع الأدبيّة، كتب الرحلات، والنقد، والبلاغة.. حتّى أضحت مكتبته مرجعاً لأساتذة الجامعة في البقاع ولبنان، ولكلّ باحث يبحث عن كتاب نادر. ولأنه يؤمن بأنّ «زكاة الكتاب عاريته»، لم ينقطع عن هذه العادة منذ سنوات طويلة، حتّى مع طلاب الجامعات والباحثين المبتدئين.

المكتبة القرآنية.. أصالة وتفرّد

تعدّ المكتبة القرآنية التي يقتنيها المؤرخ حسن نصرالله، ابن بعلبك التاريخية، من أهمّ المكتبات في العالم الإسلامي، وهي تضمّ عشرات الكتب في التفسير، من

تفسير الطبري الشهير الضخم بكلّ أجزائه، إلى كتابي الثعالبي والزمخشري، وهي من أقدم كتب التفسير، وتعود إلى القرن الخامس الهجري، إلى الرازي، الذي يعود إلى العام 606 هجرية، في كتابه «مفاتيح الغيب» أو «تفسير الرازي الكبير»، كما يسمونه.

ولديه أيضًا التفسير الشيعي الذي يحمل عنوان «مجمع البيان في تفسير القرآن» للطبرسي، وهو معتمد لدى كل المذاهب، لكونه يشمل جميع تفاسير المذاهب الإسلامية عامة، إلى جانب كتابه «مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم». وهناك أيضًا الميزان للطباطبائي، وعدد من الكتب للشيرازي، ومحمد جواد مغنية، وعبدالله شبّر، و»روح المعاني» للألوسي. كما يمتلك ما يقارب ألف كتاب متخصّص في علوم القرآن الكريم وتفسيره.

يقول نصر الله: «إضافةً إلى ما تقدّم، لديّ العشرات من كتب التفاسير الّتي تضع تفسيرًا لكل آية من آيات القرآن الكريم، إلى جانب أسباب نزولها. كنت أستدلّ منها على العديد من الآيات القرآنية التي نزلت بحق آل بيت محمد (ص)، لأكتشف من خلال القراءة أنّ لأهل البيت ذكرًا واسعًا جداً في كتاب الله عزّ وجل».

إنَّ أهمّ ما يلاحظه المؤرخ نصرالله في علم أسباب نزول الآيات والسور في القرآن الكريم، أن المسلمين لو اتَّفقوا عليها، لما انقسموا إلى مذاهب. وفي الدرجة الأول، الاختلاف حول آية: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}(المائدة: 3). ففي بحث معمّق، يؤكّد أنّ جميع علماء المسلمين أوردوا من ضمن ما أوردوه حول أسباب نزول: {يا أَيُّهَا الرَّسُولُ

تعدّ المكتبة القرآنية التي يقتنيها المؤرخ حسن نصرالله، ابن بعلبك التاريخية، من أهمّ المكتبات في العالم الإسلامي، وهي تضمّ عشرات الكتب في التفسير.

بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}(المائدة: 67)، أنها واقعة غدير خمّ، وتبليغ الرسول (ص) للمسلمين يوم حجّة الوداع، أنّ علياً ولي ووصي من بعده. إذاً، إنَّ الرواية متكرّرة لديهم جميعاً، فلمَ التقصير في إثبات أصالتها، وفي التأكيد أنّها السبب الأوحد لنزول هاتين الآيتين؟! إنّ المجازات اللغويّة ضيّعت الكثير من الحقائق المتعلّقة أسباب النزول.

يقول المؤرخ نصر الله: «هنا، وفي هذا السياق، يدخل كتاب «المجازات القرآنية»؛ هذا الكتاب الذي وضعه أبو عبيدة معمر بن المسلم. لماذا؟ قال: كنت في مجلس عند المأمون العباسي ـ في زمان الإمام الرضا (ع) ـ حيث دارت أحاديث عن القرآن، فتجرأ المأمون وقال: هناك آيات في القرآن الكريم وتشبيهات غير واقعية. مثلاً، نراه يتحدث عن شجرة الزقوم، ويقول سبحانه: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ}، فمن هم الشياطين ورؤوس الشياطين؟ هذا الأمر غير حقيقي. فانبرى أبو عبيدة معمر بن المسلّم، وقال إنّ الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن مجاراة لأساليب اللغة العربية، فللعرب أساليبهم وتهويلهم وتخويفهم. مثلاً، قال امرؤ القيس: «أيقتلني والمشرفي مضاجعي مسنونة زرق كأنياب أغوال»، هل رأيتم أنياب الأغوال؟! فاقتنع المأمون، وقال: أحسنت. فقال أبو عبيدة: عندها، انصرفت إلى وضع كتابي «المجاز في القرآن الكريم». وبذلك، صار المجاز علماً من علوم القرآن، ثم وُضعت عشرات الكتب حوله، ولديّ الكثير منها. في إحدى المرات، أفردت مقالًا موسعًا عن المجاز في القرآن لابن عبيدة، نشرته في مجلة الفكر العربي».

كلّ هذا، فضلاً عن الكتب التي تتحدث عن الإعجاز القرآني في مجال اللّغة، وتتطرّق إلى الصور البيانيّة والبلاغيّة التي عجز العرب عن الإتيان بها، ناهيك بالقراءات القرآنية، وهي عمل مهم جداً، لأنّها حفظت القرآن من الضّياع.

وفي هذه الأيام، يحضّر نصر الله كتاباً عن علم القراءات في التنزيل. كان الخوف كبيراً من تحريف القرآن بسبب اختلاف القراءات واللغات. يقول: «لنتصوّر مثلاً أن يقرأ أحدهم «قريقن في الحبّة وقريقن في الشعير»، وهي «فريق في الجنّة وفريق في السعير»! لقد نُقِّح القرآن الكريم في عهد الإمام عليّ (ع)، عندما أوكل الأمر إلى أبي الأسود الدؤلي، إذ قال له: «خذ يا أبا الأسود، الكلمة اسمٌ وفعل وحرف، الاسم وُضع للمعنى، والفعل للحدث، والحرف للصلة بينهما». ووجّهه إلى وضع النحو والصرف. وأخيراً، وجَّهه إلى وضع النقاط والحركات».

كتب الدكتور نصر الله العديد من الأبحاث والمقالات عن علوم القرآن الكريم، وتحدّث عن أهم المفاهيم الإنسانية الكبرى التي طرحها، ومنها الحوار، وهو جزء أصيل من لغة الله مع الإنسان، وطالب بأن يكون العماد الرئيس بين الشّعوب.

ويشير إلى أنّ هناك ما يقارب 360 علماً في كتاب الله، تحدّث عنها ولفت إليها، وهو أوّل من أنجز فهرسة للقرآن نشرها في مجلة الغدير. ويردف قائلًا: «يومها، كان الشيخ محمد مهدي شمس الدين (رحمه الله) نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وقد سُرَّ بالعنوان للغاية، وقال إنه عنوان جديد، فأخذ الإعلام

يتحدّث عنه. إنّ أول علم هو الله، ومن ثمّ الأنبياء (عيسى ومحمد وغيرهما) بأسمائهم، فالأعلام الجغرافية، وهي عبارة عن مسرح الأحداث، يليها أعلام الكفر، مثل فرعون و»أبي لهب»... والأماكن، مثل مدين ومكة وبيت المقدس... كلّ هذه الأعلام جمعتها وفصّلتها، وكانت كلّ فئة منها منفردة. وقد كان هذا البحث جديداً...».

تراث أهل البيت (ع) معين لا ينضب

يروي نصر الله قصّة أخرى له مع كتاب «نهج البلاغة»، ويعتبره الكتاب الثاني في اللغة العربية بعد القرآن الكريم، وقد أعدّ حوله كتاباً اسمه «جمهورية الحكمة في نهج البلاغة». ويرى أنّ اسم «نهج البلاغة» اصطلاحي، تماماً مثل حال التسميات مع سور كتاب الله، فقد أُعطيت لها أسماء اصطلاحيّة، لا أسماء توقيفيّة من الله، وكذلك الأمر بالنسبة إلى ترتيب السور، إذ لم يُجمع القرآن بحسب النزول.

ويعتبر أن ما لدينا هو شروحات لخطب الأمير، فهناك مثلاً كتاب «شروح نهج البلاغة»، ويضمّ نحو 100 شرح. وهناك العشرات من الشروح لـ»نهج البلاغة»، ولكنّ أشهر شرحين هما شرح أبي الحديد في عشرة مجلدات أو أربعة، بحسب الطبعات، وشرح الشيخ محمد عبده، بمساعدة جمال الدين الأفغاني.

يقول نصر الله: «يبيّن كتابي الأحكام الواردة في خطب الأمير، حين يظهر أنّ كلّ حكمة هي مادة دستورية، فيها توجيه في السياسة، والعدالة، والقضاء، والأخلاق، والعمل، بل في كلّ ميادين الحياة. وهذه الحكم إذا اتّبعناها، فإننا نؤسّس لأفضل جمهورية في العالم».

تأتي كتب التراث التي تتعلّق بسيرة أهل بيت النبي (ص)، في المرتبة الثالثة في اهتمامات المؤرخ حسن نصر الله، وتتولى صدارتها «الصحيفة السجادية»، إذ كتب عنها دراسة موسّعة، وقام بجمع كلّ ما يتعلق بهذا التراث الغني، الذي يشكّل مكتبة كبرى بحدّ ذاتها. ويوجد لديه نحو 10 آلاف كتاب في هذه السيرة الشريفة. ولا يزال في خضمّ البحث عن هذا التراث الذي لم تعد تسعه رفوف مكتبته.

تضمّ مكتبة تراث أهل البيت، أولاً، أحاديث الرسول (ص) ورسائله وكتبه، وصحف السيدة فاطمة الزهراء (ع)، التي تحوي الكثير من أحاديث أبيها (ص)، وكانت تعلّمها للنسوة، وكتاب «سيرة أهل البيت في التجليّات الإنسانية». يقول نصر الله: «كان نتيجة بحث مضنٍ من مئات الكتب التي جمعتها عن أهل البيت (ع)؛ تتحدث عن نتاجهم، وما كُتب عنهم، وما قيل فيهم. كان هذا دأبي كلّما قمت بإنجاز كتاب عن سيرتهم العطرة. ولديّ كتاب اسمه «عنوان الكلام»، كنت أدرّسه في الجامعة. وقد درّسته في الجامعة الأميركية في مجال صناعة الكتابة والبلاغة العربية

والعروض العربي وغيره، وهو من علم أهل البيت (ع)».

ويضيف: «إضافةً إلى ذلك، هناك فقه الإمام الصادق (ع)؛ الإمام المشهور بتأسيسه أوّل مدرسة فقهية في العالم الإسلامي كلّه. ومن المعروف أن أصحاب المدارس الأربعة كانوا من تلامذته. أمّا الصنف الثاني من الكتب، فهو دراسات عن علم أهل البيت (ع) وبلاغتهم وفقههم».

ويتابع نصرالله مشيراً إلى مسألة مهمة بقوله: «اللافت أنّ هناك رأيًا يقول بمظلوميّة أهل البيت، ويقصد بها عدم معرفة العالم بهم وبثقافتهم الشاملة، ولكنني أرى أن هذا القول غير صحيح بتاتاً، فلو راجعوا مكتبات العالم، لوجدوا أنّ هناك مئات الكتب، مثلاً، عن الإمام علي (ع) وعن علمه وبلاغته، بينما ليس هناك كتاب واحد يتحدث عن علم أبي بكر مثلاً. فلنأخذ كتاب «العبقريات الأربعة» للعقاد، الذي ينضح بثقافة الأمير وبلاغته!

أمّا في أوروبا، فقد صار لدينا آلاف المجلدات والكتب عن أهل البيت (ع)، وخصوصًا ملحمة عاشوراء، التي أصبحت توازي ملحمة الإلياذة الأسطوريّة، لا بل تتفوّق عليها، لواقعيّتها. أذكر أنّني جمعت في كتابي «الحسين قبس من النبوّة»، أكثر من 100 ألف بيت من الشعر عن ملحمة كربلاء، ولو راجع أحد ما كتب الملاحم، لوجد أنّ أكبر ملحمة لا يصل فيها الشعر إلى 10 آلاف بيت. هذا الكتاب أصبح مطلوباً بكثرة، وبخاصة لقراء مجالس أبي عبدالله الحسين (ع)».

المعاجم والطبقات والتراجم.. رفوف عالية

لم تغب الكتب الأدبيّة والنقديّة عن اهتمام المؤرخ نصرالله، وهو الّذي تخصَّص في اللغة العربية وآدابها، فرسالة الماجستير التي أعدّها كانت عن «ذي الرمة» شاعر الصحراء، في حين كانت أطروحة الدكتورة عن «الحركة الأدبية في النهضة العراقية».

يقول نصر الله: «ذهبت في هاتين الفترتين إلى العراق وسوريا، وجلبت العشرات من الكتب الأدبية، إلى أنّ صار لديّ مكتبة قيمة. وكرَّت السبحة، فصرت أجلب كلّ كتاب يعزّز دراساتي وأبحاثي في النقد الأدبي».

ولأنّ اللغة هي الأصل، اهتمَّ الباحث نصرالله بكلّ المعاجم اللغوية العريقة والقديمة، وجمع في مكتبته نحو ثلاثين معجماً ضخماً، ذلك أنَّ لغتنا العربية لا تزال تدهشه، وهي التي تحوي ثلاثة ملايين مفردة، بينما هناك لغات لا تتجاوز المفرادت فيها أكثر من سبعين ألفًا، كما يقول. والعرب على امتداد تاريخهم، لم يستخدموا كلّ هذه المفردات الغنيّة.

ومن شدة شغفه بهذه المعاجم، اهتمَّ بتأليف معجم ضخم جداً حول الحيوان وتسمياته اللغوية، جمع فيه كلّ ما يرتبط بالحيوان من حركة وفعل ولون وصوت ووبر وشعر، وتبيّن معه أنّ للحيوان في اللغة العربية تراثًا وحضارة مختلفين عن سائر اللغات، وقد أجرى بعض المقارنات فيها، فأشار مثلًا إلى اسم كل جزء من الحيوان، واسم كل حيوان في مراحل مختلفة، وكلّ أفعاله الخاصّة به.

ولا ينسى نصرالله كتب التراجم، فقد كان لها نصيب كبير من اهتمامه وشغفه بالجمع والشراء، فمكتبته تحوي عشرات التراجم، مثل تراجم رجال القرنين، الضوء اللامع

لأهل القرن التاسع، إلى جانب كتب الطبقات؛ طبقات خاصة وطبقات عامة، وأولها كتاب الطبقات لابن سعد، وطبقات الصحابة. سموا الطبقة الأولى الصحابة والتابعين، مثلاً طبقة الشعراء في الجاهلية، امرؤ القيس وغيره كثر، وطبقات ثانية في العهد الإسلامي، وطبقة النحّات. وكانت أول طبقة عنده عن «أبي الأسود الدؤلي»، والفراهيدي، وابن مالك، ومن ثمّ القراء.

وهناك الطبقات الصوفية؛ طبقات الشافعية، الحنفية، الشيعة، وطبقات العلماء، وطبقات الأطباء، وطبقات القراء، المفسرين، الشعراء... والمجامع الأدبية، حيث يمتلك عددًا كبيرًا منها، في مقدمتها «الأغاني» و«يتيمة الدهر» للثعالبي.. وغيرها الكثير، وقد جلب العديد منها من مصر.

تأريخ مدينة الشمس

أما التاريخ، فكان له وَلَهٌ آخر عند المؤرخ نصر الله، الذي انصبّ عمله فيه على تاريخ منطقته «مدينة الشمس». وقد كتب موسوعة حول مدينته، تتحدّث عن التاريخ السياسيّ والثقافيّ والعمرانيّ، في مجلدين، وعن الحياة الاجتماعية وحركة التصوف والحركات الحزبية في بعلبك.

وقد أبدع في البحث التاريخي والفلسفي. وتشهد مشاركته في المؤتمرات الفكرية والتاريخية على باعه الطويل في هذا الميدان. واللافت أن مصدر أبحاثه أيضاً هنا، ينبع من علم أهل البيت (ع)، وهو لا يزال يذكر ذلك البحث الطويل الذي أعده عن العقل في فلسفة الإمام الصادق، والذي أثار أعجاب الحاضرين المهتمين بالفلسفة في أحد المؤتمرات.

كتب الدكتور نصرالله عن تاريخ بعلبك الكثير من المقالات التاريخية، تبعاً للمراحل المختلفة. ويروي أنّه استفاد حتّى من سيرة النبي والغزوات، وكتب التاريخ المشهورة، من مثل الكامل بن الأسير، فيصل ابن الخياط، تاريخ الفتوحات،

تاريخ المدن، تاريخ مكة للأزرقي، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، تاريخ دمشق لابن العساكر، تاريخ حلب، وعشرات الكتب التاريخية التي اقتناها. من هنا، راح يقتني أي كتاب تاريخي ذات صلة، ليقارنه مع تاريخ مدينة بعلبك، الذي قام بتأليفه.

وقد كتب نصرالله عن تاريخ بعلبك من العصر الأسطوري إلى اليوم، وهي من أقدم المدن على وجه الأرض. تأسّست قبل روما بحوالى 4000 سنة قبل الميلاد على الأقل. وهناك إشارات إلى ذلك لدى مؤرخين قدامى، مثل بنيامين الطوريطري، وهو رحّالة أجنبي يهودي من الأندلس، زار هذه البلاد في زمن العز العربي، وقال إنّ بعلبك أقدم مدينة بناها الإنسان على الأرض، وهي «مدينة شيّدها الشيطان»، وبناها قابيل بعد قتل أخيه هابيل، فأصابه الارتعاش والخوف، فشيّد الهياكل حتى يلتهي بها.

هناك الكثير من الأساطير التي تتناول قصة بناء هذه المدينة الغارقة في التاريخ. ومعظم الرحالة العرب المسلمين وغيرهم ممن زاروا بعلبك، قالوا إنّها حجارتها من صنع مردة سليمان، وليست من صنع البشر. ويضيف: «الحقيقة التي أكدتها في كتابي، أنّ هذه الهياكل بنيت خلال 400 سنة في عهد الرومان، وقبل 100 ألف عام قبل الميلاد. استغرق بناؤها مئة سنة كاملة، من عهد بومبيوس 64 ق.م إلى عهد قسطنطين الكبير 332 أو 333م، أي فترة 397 سنة، ذلك أن كلّ امبراطور روماني له اسم منقوش على هذه الهياكل».

ويقال إن الإمبراطور جوليانوس هو من قدّم مدينة بعلبك إلى ابنته جوليا دومنا، وهناك عملة منقوشة باسمها. وقد ورد اسم «بعل» في القرآن الكريم في قصة النبي إلياس (ع)، ويقول كلّ المفسرين إنّ آية «أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين»، نزلت في بعلبك، بحقّ النبيّ إلياس. ولا يزال ضريحه موجوداً في المدينة... وهناك الكثير الكثير حول تاريخ هذه المدينة العريقة، يرويه نصر الله في مجلدين كبيرين.

في الختام.. الكتاب روح وحضارة

قديماً، كان شعار الدكتور المؤرخ حسن نصرالله، ابن بعلبك البار، إدخال الشّهادة الجامعيّة إلى كلّ بيت في بعلبك. وبعدما أضحى أهل مدينته أكثر قرباً من العلم واهتماماً به، أضحى شعاره اليوم إدخال الكتاب إلى كل بيت في بعلبك، لكونه دليل الحضارة والمعرفة. ويختم لقاءه معنا بالدَّعوة إلى ضرورة اقتناء عامة الناس للكتاب، ذلك أنّه يشكّل الضّمان الأكيد لتحصيل الرّقي الإنسانيّ.

زينب الطحان: أستاذة جامعيّة وكاتبة وصحفيّة، متخصّصة في النقد الأدبي والسرد الروائي، صدر لها كتابان حول آداب ما بعد كولونيالية، أعدت أطروحة الدكتوراه حول الهجرة والهوية في رواية بدايات لأمين معلوف.
للتواصل عبر الإيميل: riza_zein@hotmail.com

STUDER
News01

ديوان الذاكرة

أرشيف الإذاعة ذو خصوصيّة وقديمُه يرمز إلى هُويّتها

مديرة أرشيف إذاعة «النور»: ينبغي توثيق المعلومة مهما كانت صغيرة

حسن زراقط

في وقتٍ كان لبنان يرزح تحت نير الاحتلال الصّهيونيّ، وكانت الحاجة ملحّة لوجود وسيلة إعلامية عربية أو لبنانية توثّق جرائمه، انطلقت إذاعة النور كأوّل وسيلة إعلامية ناطقة باسم المقاومة الإسلامية في لبنان في التاسع من أيار 1988.

ولدت فكرة إذاعة «النور» بمبادرة فرديّة أطلقها أحد المهتمّين في هذا المجال، وتحوّلت فيما بعد إلى تجربة احترافيّة. خلال المرحلة الأولى من تأسيسها، كان بثّها يقتصر على بعض أحياء الضاحية الجنوبية، لكنّها عملت خلال فترة التسعينيات على توسيع بثّها في الأراضي اللبنانيّة كافة، ولم تستطع الحصول على الترخيص إلا في العام 1999.

تجربة الإذاعة في الأرشيف تختلف قليلًا عن تجارب مراكز الأرشفة المكتوبة ومحطات التلفزة، فتحديد المواد وأرشفتها هنا، يعتمد على الصّوت. لدى إذاعة «النور» التابعة لـ«المجموعة اللبنانية للإعلام» تجربة في الأرشيف، الذي بدأ تقليديًا من خلال الاعتماد على ذاكرة العامل في الإذاعة، ثم أصبح مُمَكننًا ومُرَقْمنًا، ومُصَدِّرًا للباحثين والمؤسّسات، سواء كمقطع صوتي (نشيد) أو برنامج.

تتحدّث المسؤولة عن قسم الأرشيف في الإذاعة، منى عكنان، عن نواة الأرشيف، التي «تكوَّنت مع تأسيس الإذاعة، حيث كان يجري جمع المواد التي تُبَثُّ عبرها». وتضيف: «لا نستطيع أن نقول إنّه كان أرشيفًا بما للكلمة من معنى، بل كان حركةً عفويةً لجمع الأشرطة ووضع لاصقات عليها لتصنيفها، ثم انتقل العمل إلى برنامج الـreal، حيث

كان يتم توثيق المواد الصوتيّة بحسب طبيعتها. كانت أوّل خطوة في التوثيق الفعليّ، وضع استمارة وتدوين معلومات وافية عن محتوى كلّ مادة، تبعًا للحاجة إلى ذلك».

وتُتابع: «في نهاية التسعينيات، بدأت مكننة الأرشيف ليصبح «ديجيتال»، ودخل الـCD في العمليّة، وبدأ العمل بتفريغ المواد على الحاسوب، وبقيت الاستمارة المخصّصة لتحديد وصف المادة، إضافةً إلى كتابة البيانات المتعلّقة بكلّ مادة عليها، إلى أن نُقِل الأرشيف إلى برنامج MAS، الذي صمّمه قسم المعلوماتيّة في الإذاعة، وهو شبيه ببرامج الأرشفة الأخرى، يتمّ من خلاله ربط المادة بكلّ بياناتها».

وتلفت عكنان إلى أنّ البرنامج «يمتاز بالمرونة، فعندما دخل حيِّز التنفيذ، اختلف وضع الأرشيف عن الفترات السابقة، فجُمِعَت المواد في مكان واحدٍ، وأصبح استرجاعها أسهل بشكل كبير. أما قبل استخدام البرنامج، فقد كان الاعتماد على الذاكرة، أي على ذاكرة الفرد نفسه».

وعن أقسام الأرشيف ومهمّتها، توضح عكنان: «لا توجد أقسام في الأرشيف، فهو تابعٌ لمديرية واحدة. يعمل في القسم ثلاثة أشخاص فقط، وليس هناك مجال للتقسيم، ذلك أننا قسّمنا آليات العمل بيننا مسبقًا. يتولى قسم الأخبار المواد الإخبارية، ويجمعها في مكان محدّد. أما موادّ البرامج، فتخضع لعمليتي «مونتاج» و«ميسكاج»، ثم تبثّ على الهواء. وفي الختام، تصل إلينا. وفيما يتعلّق بالنشرات الإخبارية، فإن قسم الأخبار لم يجد حاجة إلى أرشفتها، لكنها تحفظ ولا تتلف، كما أنّ تسجيل المواد الصوتية مستمرّ، ويمكن استرجاعها في اليوم والساعة والدقيقة».

وعما إذا كان شيء ما فُقِدَ من الأرشيف خلال الحرب الإسرائيليّة على لبنان في شهر يوليو/ تموز 2006، تذكُر عكنان أنّ بعض المواد الورقيّة من الأرشيف القديم قد فُقِد، «ولكنّنا لم نفقد شيئًا من المواد الأخرى».

وبالنّسبة إلى آليّة عمل البرنامج، تشير إلى أنَّ الطلبات على المواد المؤرشفة تأتي من داخل الإذاعة ومن خارجها. ففي داخلها، يستطيع العاملون أن يجدوا مادةً من خلال البحث عنها في البرنامج، إذا ما أرادوا بثّها من جديد على الهواء».

أما الطلبات الخارجيّة، سواء كانت للأفراد أو المؤسَّسات، «فالفرد قد يكون استمع إلى حلقة معينة، ونالت إعجابه، فيطلبها من الأرشيف. أيضاً، هناك مؤسسات أو إذاعات تحصل على المواد، من خلال إرسال طلبات، أو أننا نرسلها إليهم كهدايا. والاسترجاع في أي حقل من حقول الاستمارة، يتعلّق عادة بطلب الفرد أو المؤسسة حول المقدمة المعيّنة أو المذيع الفلاني أو المُعِدّ الفلاني أو العنوان المعين. وأحيانًا، لا يحدّد الفرد الموادّ، بل يطلب معلومات عن موضوع معيّن».

وتلفت عكنان إلى أنَّ الطلبات الواردة من خارج الإذاعة تصل إلى العلاقات التجاريَّة، فـ«بعض المواد ليست من إنتاج «النور»، لذلك لا يمكن أن نعطيها إلى أحد كأرشيف، مثل ختميات القرآن، فينبغي لمن يريدها أن يطلبها من مصدرها الأصلي، فقد لا يقبل قارئ القرآن أن ننسخ تلاوته مثلًا».

وتردف عكنان قائلةً إنَّ العاملين في القسم «يصنّفون المواد بحسب أشكالها وأنواعها. فالشكل عبارة عن سرد، أو حوار، أو خواطر، أو تنويهات، أو تحقيق... أما النوع، فهو إما تعبوي أو ديني أو سياسي».

وحول وجود تعاون مع مؤسَّسات أخرى وتبادل للمعلومات، تذكر عكنان أنَّ «النور» عضو في «اتحاد الإذاعات العربية» و«اتحاد الإذاعات الإسلامية»، مشيرةً إلى حصول تعاون وتبادل بينهم وبين الإذاعة.

وتُعلِّق على سؤالنا عن المكتبة الإذاعية المتوافرة على شبكة الإنترنت، موضحةً أنَّ هناك برامج «يتم الموافقة على وضعها على الإنترنت. وعندما تصبح متاحةً في الشبكة، نؤمّن معها كلّ بياناتها، كي يستطيع القارئ أن يحصل على الحلقة أو البرنامج أو ما يتعلّق بهما من بيانات وتفاصيل».

ثم نسألها عن أهميّة أرشيف الإذاعة، ومدى الاستفادة منه في الأبحاث والدراسات، فتبيِّن أنَّ بعض الباحثين «يطلبون موادّ معينة، وتختلف الطلبات بين الفينة والأخرى، فتارةً، تركّز الطلبات على مقابلات لشخص معيّن أو سياسي معينّ، فقد يطلب الباحث كل المقابلات التي أجريت مع هذا الشخص منذ تأسيس الإذاعة، ليجري بحثًا عليها. وتارةً أخرى، يطلب مركزٌ ما برامجَ لها طابع تربويّ، بغية إفادة الطلاب منها».

بحسب عكنان، تشارك «النور» في مؤتمرات ومهرجانات، كتلك التي ينظّمها الاتحادان الآنفا الذكر. وتضيف: «نرسل إليهم موادّ حتى يستفيدوا منها، ونرسل سلة برامج من إنتاجنا إلى الإذاعات الإسلامية مثلاً، كهدايا.

كانت أوّل خطوة في التوثيق الفعليّ، وضع استمارة وتدوين معلومات وافية عن محتوى كلّ مادة، تبعًا للحاجة إلى ذلك

هناك إنتاج مستمرّ، والعاملون يبحثون دائمًا عن أفكار جديدة للإنتاج، ويحاولون الابتعاد عن المواد المستهلكة. إنّ الأفكار التي ننتجها، ونقدّمها إلى الاتحادات الإذاعيّة، نعتبرها هوية «النور» ومحور عملها وهدفها».

وتقول: «عندما نرسل موادّ، نركّز على أمرين: الإنتاج القديم والإنتاج الجديد، أي الفكرة. أحيانًا، يكون الإنتاج القديم موجودًا وجاهزًا، فيتم سحب مواد كثيرة منه، فهو يدلّ على هوية الإذاعة، وله طابعه وخصوصيّته. وفي الاحتفالات الخاصة بمناسبة تأسيس الإذاعة، نركّز على بثّ المواد القديمة. يمثّل الأرشيف المؤسَّسة، والمؤسسة التي لا تملك أرشيفًا، ليس لها هوية».

وبشأن وجود تعاون مع مؤسَّسات أخرى لتطوير الأرشيف، تشير عكنان إلى أنَّ قسم الأرشيف في الإذاعة «يقوم بزيارات إلى أقسام أرشيف في مؤسسات أخرى، فيأخذ أفكارًا لتطوير الأرشيف، ويتعرّف إلى أشياء غير موجودة لدينا، ويمكنها أن تخدم حاجاتنا بشكل أكبر. وقد تكون هناك أمور متطوّرة جدًا في مؤسسات أخرى، ولكننا لا نحتاج إليها».

تؤكّد عكنان أنّ هناك حركة تطوير دائمة للأرشيف في الإذاعة، «لأنَّ عالم الأرشيف يحتوي بيانات ومعلومات كثيرة. وفي مقارنة بين الاستفادة من الأرشيف عند انطلاق الإذاعة والوقت الراهن، نجد أنَّ الأمور تغيّرت كثيراً، ذلك أن حجم المواد اختلف، كما أنّ طبيعة الحاجة إلى الأرشيف اختلفت أيضًا. مثلاً، قد يرغب شخص في الحصول على إحدى الحلقات، فيما يرغب آخر في الحصول على مقطع من الموسيقى. ومن سنة إلى أخرى، يختلف اعتمادنا على شيء ما».

وتتطرّق إلى البرنامج المستخدم في الأرشيف وآلية عمله، فتشرح عكنان أنّ البرنامج «يوفِّر حفظ المواد بحسب عنوان الحلقة، الإعداد، المُقدِّم، تاريخ إنتاج الحلقة، تاريخ ورود الحلقة، الرقابات اللغوية والاستديو. وفي الوقت نفسه، يتم ربط صفحة هذه الحلقة بتسجيلها الصوتي. وهناك صفحة للبحث، وهي عبارة عن حقول فارغة لكلّ شيء مُلئ في الاستمارة. أيضًا، هناك صفحة برنامج، تنشأ من خلال فتح استمارة برنامج تحتوي بيانات عن عنوان البرنامج، وشكله، ونوعه، وتاريخ إنتاجه، والمديرية الصادر عنها، أي مديريتي البرامج السياسية والأخبار والبرامج العامة. وتتضمن الصفحة التالية من الاستمارة، تفاصيل كلّ حلقة من حلقات البرنامج والأمور المتعلقة بها. ومن خلال البرنامج، نستطيع القيام بتوضيب الحلقة التي نريدها.

تعتبر عكنان أنَّ مشكلة الأرشيف تكمن في «فهم الناس لوظيفته، فبقدر ما يحتاجون إليه لاسترجاع بيانات، لا يدركون أهمية الحصول على البيان عندما يكون بين أيديهم». وتضيف: «قد يكون البيان سلسًا وموجودًا بين يديك، وقد تستطيع تقديمه بكل سهولة، لكنك لا تعرف أهمية ذلك. وعندما تريد استرجاعه تقول: أيعقل أن لا يكون هذا الموضوع مذكورًا في البيان؟ نعم، يعقل، لأنك أساسًا لم تعطِ هذا الموضوع أهمية كي تسترجعه. هذا المفهوم خاطئ، ويجب أن يصحّح لدى الناس، فالمعلومة، مهما كانت صغيرة، ينبغي أن توثَّق كي نستطيع استرجاعها، لأنّ كمية البيانات هائلة، وما لم نوثّقها، لن نستطيع استرجاعها».

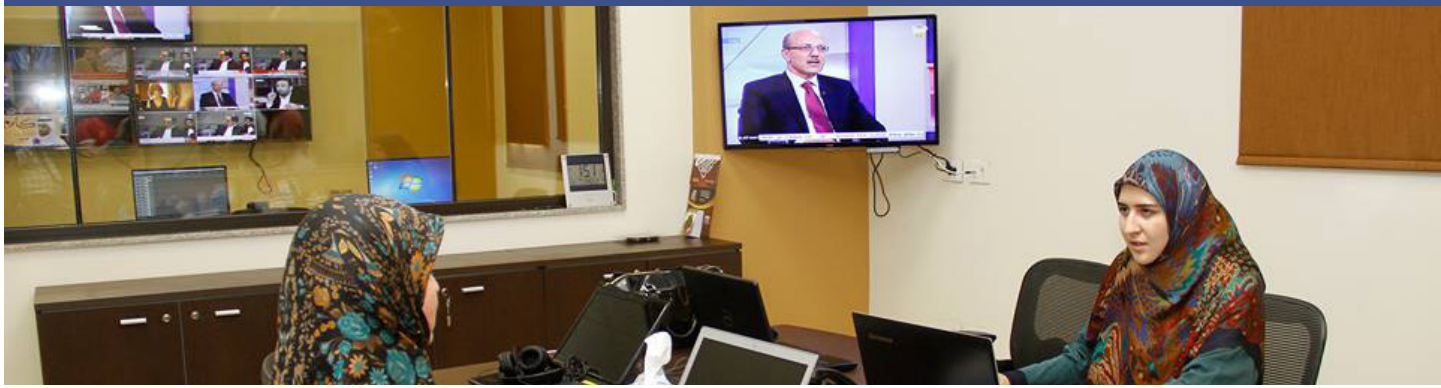

تذكُر عكنان مشكلةً واجهها قسم الأرشيف ذات يوم، «عندما أراد أحد الإخوة استرجاع مقطع من نشيد عن الألغام، فصاروا يحاولون تذكّر اسم صاحبه، ومنتجه، والجهة الصادر عنها، وراحوا يبحثون عن الحلقة التي ورد فيها. ولم يكن قد حصل سابقًا أن وردنا طلب استرجاع نشيد في حلقة معينة. قلنا لهم: لم تذكروا، ولو مرة، في الاستمارة المتعلقة بالحلقات، الموسيقى والأناشيد التي وردت فيها. هنا، طرأت حاجة جديدة. والصّعوبة الآن تكمن في إقناع الطرف الآخر الذي احتاج إلى تلك المعلومة، بأن يعطينا هذا البيان!».

حسن زراقط: صحافي من لبنان حائز على إجازة في اختصاص الصحافة، نال منحة "إراسموس موندوس" لدراسة الماجستير في اختصاص العلاقات العامة في بولندا، عمل في عدة مواقع إخبارية.

صفحة الفايسبوك hasan.zaraket

ARCHIVES OF THE UNITED STATES OF AMERICA

ثقافة أرشيفية

الأرشيف الوطنيّ الأميركيّ
حارس لتاريخ شعبٍ وبلد

آلاء هاشم

يكاد لا يخلو منزلٌ في الولايات المتحدة الأميركية من سجلّ عائليٍّ قديم، قد يكون سجلًا عسكريًا من أحد الأقارب الَّذين شاركوا في إحدى الحروب العالميّة، أو صورًا للأجداد القدامى في اليوم الَّذي أصبحوا فيه مواطنين أميركيين. وربما يكون الحساب المالي الأول الذي دُفع لقاء الحصول على مسكن.

تلك السّجلات وغيرها من الوثائق الَّتي تحفظ تاريخ بلدٍ وشعبٍ، تقع مسؤولية حفظها وتنظيمها وإتاحتها للناس على الأرشيف، فالأرشيف الوطني أو المحفوظات هو المكان الذي يقصده الناس للحصول على الوثائق بمختلف أنواعها: صور، رسائل، مذكرات، نصوص، وغيرها من المصادر الأولية.

من هنا، علينا أن ندرك جليًّا دور إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية (NARA) في الولايات المتحدة الأميركية. ينظر الكثيرون في هذا البلد إلى الأرشيف الوطني على أنه بمثابة الحارس الذي يصون وثائق الحرية ويحفظها، وهي: إعلان الاستقلال، والدستور، ومجموعة الحقوق. ولكن الأرشيف الوطني يحفظ، إضافةً إلى ذلك، وثائق عديدة، منها سجلّات المواطنين الشجعان الذين قاتلوا لحماية الوطن، وسجلات تجنيس المهاجرين الذين قدموا إلى أميركا، والمراسلات الرسمية بين أميركا ودول أخرى، وغيرها.

وفي ظلّ نظام ديمقراطي، كالنظام الذي تقوم الولايات المتحدة الأميركية عليه، فإنّ الوثائق ملك للشَّعب، وهي تضمن الشفافية بين المواطن والدولة. ولذلك، ولأكثر من سبعة عقود، حفظت إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية الأميركية، الوثائق الأميركية، وأتاحت الوصول إليها، فالوثائق تساعد الأشخاص على معرفة حقوقهم، وتوثّق عمل المسؤولين المتعلّق بخدمة الشعب، لمساءلتهم لاحقًا، وتحفظ تاريخ الشعب والدولة بكامله. ولذا، باختصار، تتيح إدارة الأرشيف

والوثائق الوطنية الأميركية الوصول إلى الوثائق الأساسية فيما يتعلّق بحقوق المواطنين وممارسات السّلطة.

لمحة تاريخيّة

برزت التوعية بأهمية الحفاظ على الوثائق الوطنية مع توماس جيفرسون، وهو أحد الآباء المؤسّسين للولايات المتحدة الأميركية، وثالث رئيس لها، إذ شدّد في العام 1791 على ضرورة حفظ السّجلات الوطنيّة، ولكن الأمر لم يتبلور حتى العام 1930، حين شهد المؤرخون وغيرهم من المعنيين بأمر حفظ الوثائق، تحقيق مبتغاهم في مسألة حفظ الأرشيف في مكان معيَّن.

أُعطِيَتْ مهمَّة تصميم مبنى إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية للمهندس المعماري جون بوب، الَّذي دأب على تصميم مبنى للأرشيف، يكون على وئام مع مبنى البيت الأبيض، ومبنى الخزانة، ونصب لنكولن التذكاري، على أن يضمن في الوقت نفسه حفظ السّجلات داخله وحمايتها من المخاطر كافّة.

في العام 1933، وضع الرئيس هربرت هوفر حجر الزاوية للمبنى. وفي العام 1936، بدأ الموظفون العمل داخله. وبعد سنوات من التخطيط، وفي العام 1993، اكتمل العمل على مبنى الأرشيف الجديد.

ما هي إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية؟

إنّ إدارة الأرشيف والوثائق الوطنيّة هي مؤسَّسة مستقلّة تابعة لحكومة الولايات المتحدة الأميركية، مسؤولة عن حفظ وثائق الحكومة التاريخية وتوثيقها، وتسهيل الوصول العمومي إليها، والحفاظ على نسخ من قرارات الكونغرس والمراسيم الرئاسية والتعليمات الفدرالية ونشرها.

كما أنها مجموع الوثائق التي عملت حكومة الولايات المتحدة الأميركية على جمعها، والتي ترصد أهم الأحداث في التاريخ الأميركي. إن إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية (nara) هي المؤسسة الوطنية التي تحفظ الوثائق الوطنية وتحميها، بغية جعلها متاحة للجمهور.

تحوي هذه الإدارة وثائق ناتجة من عمل السّلطات التّشريعية والتنفيذية والقضائية، وتوثّق مختلف الأحداث والمراسلات والمذكرات في التاريخ الأميركي، وتضمّ السجلات الشخصية للمواطنين، فالمواطن يملك شهادة الميلاد، بينما تملك إدارة الأرشيف الوطني شهادة الميلاد الأصلية الموقّعة، وتتيح للجمهور إمكانية الاطلاع على الوثائق والاستفادة منها، من خلال الموقع الإلكتروني التالي: https://www.archives.gov/.

الوثائق في إدارة الأرشيف والوثائق الوطنيّة

هل احتفظْتَ يومًا بالرسائل والبطاقات التي تتلقاها من الأصدقاء والأقارب؟ هل يحتفظ أهلك بألبومات صور أو فيديو عن حفلات عيد ميلادك؟ أين تحتفظ بشهادة ميلادك؟

كلّ هذه الوثائق تحكي قصَّتك، وهي تساعدك على تذكّر الماضي، وتعمل كدليل للأجيال القادمة للاطّلاع على حالك اليوم.

الآن فكّر في الوثائق الموجودة في دولة كالولايات المتحدة الأميركية: ما يقارب 10 مليارات صفحة من الوثائق الورقية، 12 مليون وثيقة من الخرائط والرسوم البيانية والرسومات المعمارية والهندسية، 25 مليون وثيقة من الصور الفوتوغرافية والرسومات، 24 مليون صورة جوية،

300000 بكرة من الأفلام السينمائية، 400000 فيديو وتسجيل صوتية، 133 تيرابايت من السّجلات الرقميّة. يتمّ الاحتفاظ بهذه الوثائق، لكونها مهمّة لعمل الحكومة، وهي تمتلك قيمة بحثيّة تاريخية، نظرًا إلى كونها تقدّم معلومات قيّمة للمواطنين الأميركيين.

إضافةً إلى ما ذُكر، على إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية تنظيم التزايد الكبير في الوثائق الحكومية الرقمية وتدبيره. ولذلك، فإنّ أرشيف السجلات الإلكترونية هو الاستجابة الاستراتيجية لتحديات الحفظ والإدارة وتوفير الوصول إلى الوثائق الرقمية.

ومن الوثائق المهمَّة الَّتي تحويها إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية:

1789,1774: دستور الولايات المتحدة الأميركية.

1776: إعلان الاستقلال الأميركيّ.

1803: قائمة الاستكشاف والتجارة للرحالة ميريويذر لويس، استعدادًا لحملة لويس وكلارك.

1803: معاهدة شراء لويزيانا من فرنسا.

1862: قانون تحرير مقاطعة كولومبيا.

1863: إعلان التحرير.

1865: التعديل الثالث عشر على الدستور الأميركي المتعلّق بإلغاء الرقّ.

1868: معاهدة شراء ألاسكا من روسيا.

1880: براءة اختراع المصباح الكهربائي للمخترع توماس إديسون.

1917: برقيّة زيمرمان الَّتي بعثت من وزارة الخارجية الألمانية إلى السفارة الألمانية في المكسيك، لتطلب من الأخيرة الدخول في تحالف مع ألمانيا ضدّ الولايات المتحدة، ولكن تم اعتراضها من قبل المملكة المتحدة الّتي نقلتها إلى الولايات المتحدة، حيث أدت إلى دخولها في حرب مع ألمانيا.

1919: التّعديل على دستور الولايات المتحدة لإعطاء حقّ التّصويت للنساء.

1935: قانون الضَّمان الاجتماعيّ.

1941: خطاب يوم العار من قبل فرانكلين روزفلت، بعد الهجوم على بيرل هارير من قبل اليابان، قبل إعلان الحرب عليها من قبل الكونغرس الأميركي.

1955: براون ضدّ مجلس التعليم، وهو قرار وضعته المحكمة العليا للولايات المتحدة الأميركية، لوضع حدٍّ للعزل العنصري في المدارس.

دورة حياة الوثائق

في كلّ يوم، تُنتج المؤسَّسات الحكوميَّة وثائق مهمَّة، على سبيل المثال: توقيع الرئيس على أمر تنفيذي، نشر وزارة التربية والتعليم موردًا تعليميًا جديدًا، جمع البحرية الأميركية معلومات جديدة...

لسنوات عديدة، كانت الوثائق تُنتج ورقيًا، وتحفظ في ملفات في داخل صناديق. أمّا حاليًا، فإنّ المؤسَّسات الحكومية على امتداد الولايات المتحدة الأميركية تنتج وثائق إلكترونية بمعدل كبير. ولمواجهة هذا التحدي، تعمل إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية على إيجاد طرق جديدة لإدارة هذه الوثائق والحفاظ عليها.

ولحماية الوثائق الورقية من التلف، تقوم إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية بحفظها في ملفات خالية من الحمض، داخل صناديق خالية منه أيضًا، وذلك في الأماكن المظلمة، في درجة حرارة ورطوبة ثابتة.

الموثّقون في إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية

يعمل في إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية نحو 3000 موظف في 36 مرفقًا تابعًا للإدارة، موزّعًا على الولايات المتحدة الأميركية. ويساهم كلّ موظّف من خلال تخصّصه وخبرته في تطوير العمل.

يحافظ الموظّفون في إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية على سجلات الحكومة الأميركية، ويجعلونها متاحة للعامة، ويتم تدريبهم على الحفاظ على الوثائق الأصلية ومساعدة العامة في الحصول عليها. ويعمل الموثقون على الوثائق الورقية، الصور، الخرائط، الأفلام وغيرها.

معظم الموظّفين يبدأون حياتهم المهنية كمؤرخين، وبعدها يكتسبون الخبرة من الموثقين، ليصبحوا موثقين كذلك. ويمتلك الموثقون خبرة واسعة ومعرفة عميقة بالسجلات، ويشاركون في العديد من مراحل حياة الوثيقة، إن لم يكن في كلّ مراحلها. وإن أبحاثهم وتحليلاتهم الواسعة هي التي تساعد في جعل الوثيقة متاحة للعامة.

ويترتَّبُ الموثقون على الشَّكل الآتي:

1. أمين المحفوظات: وهو المسؤول الأوَّل. يتم تعيينه من قِبل رئيس الولايات المتحدة الأميركية.
2. المتخصّصون: يعملون على مشاريع معيّنة، من خلال وصف مجموعة من الوثائق والحفاظ عليها، كما أنهم يعملون مباشرة مع الجمهور، عندما تُطلب وثائق ضمن تخصّصهم.
3. الفنيون: يعمل الفنيون في المخازن، وهي غرف واسعة تحتوي صناديق من الوثائق. كما أنهم يعملون في الترميم، بغية تنظيف الوثائق القديمة، ولا سيما الوثائق الأكثر هشاشة، وإصلاحها والحفاظ عليها.

تتنوّع الأعمال المتعلّقة بالوثائق وفق التالي:

1. الترميم: يقضي المتخصِّصون الَّذين يحفظون المستندات والصور وغيرها من الوثائق التاريخية، ساعات طويلة من العمل البطيء والدقيق في تنظيف الوثائق الهشّة من المواد المتلِفة وإصلاحها. ويكون الموظّفون في قسم الترميم على دراية بالمواد الكيميائية والأدوات والأساليب المستخدمة أثناء هذه العملية.

2. إدارة السّجلات أو الوثائق: يعمل المتخصِّصون مع الجهات الحكومية، مثل مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI)، وكالة الطيران والفضاء الأميركية (NASA)، والجيش الأميركي، للتأكد من أنهم ينتجون الوثائق التي تعكس الأعمال التي يقومون بها. كما تقوم إدارة السجلات بالتأكد من أن المؤسَّسات الحكومية الأرشيفية في الولايات المتحدة الأميركية تعمل بشكل صحيح في تحزين الوثائق التي تجلبها إلى إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية والاهتمام بها.

3. المحاسبة، التّصوير، الهندسة، التحرير، وغيرها من الوظائف في إدارة الأرشيف والوثائق الوطنيّة. بعد أن أصبحت الوثائق الإلكترونيّة جزءًا من محتويات إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية، دخل إلى الإدارة وظائف جديدة، وهي: الحفظ الرقمي، التخصّص في عالم الكمبيوتر، وصيانة الأدوات البصرية وغيرها.

بعض الموظّفين في إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية يقضون سنوات طويلة في الدراسة، تمهيدًا لعملهم في الأرشيف الوطنيّ، في حين أنّ الآخرين يكتسبون الخبرة خلال العمل، فما يقارب جميع الموظفين في هذه الإدارة تخرجوا بشهادةٍ ثانوية، وما يقارب النصف تخرجوا بشهادة جامعيّة. وأكثر من 20% من الموظّفين يمتلكون درجات علمية متقدّمة، كما يمتلك العديد منهم خبرات شخصية واحترافيَّة في التاريخ والعمل الحكومي.

المجموعة الأخرى، وهي الأكثر أهمية في إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية، هي المتطوّعون، فحبّ التاريخ الأميركي والولايات المتحدة الأميركية يشجّع مئات الناس على قضاء أوقاتهم في الأرشيف الوطني.

الخطّة الاستراتيجيّة لإدارة الأرشيف والوثائق الوطنيّة

تضع إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية خطة استراتيجية كلّ 4 سنوات، تُحدّد الأهداف للسنوات المقبلة، والأساليب

التي ستُستخدم لتحقيق هذه الأهداف، والمبادرات التي ستقيّم التقدّم.

مبنى إدارة الأرشيف

يقع مبنى إدارة الأرشيف والوثائق الوطنية في واشنطن. يُستقبَل الزائرون في هذا المبنى لتبدأ رحلتهم في مسرح ويليام مكغوين. وهناك يتم عرض فيلم يسلّط الضّوء على دور الأرشيف الوطني في حفظ الوثائق الوطنية، طوال اليوم، كما أنَّ هذا المسرح مكان لعرض الأفلام الوثائقية والمحاضرات التثقيفية وغيرها.

بعد الخروج من مسرح مكغوين، بإمكان الزوار الاستمتاع بغرف عرض الوثائق، التي تمنح الزوار الإحساس بالرجوع بالزمن، ذلك أنهم يتواجدون في مكان يحوي الخزائن المحصنة والوثائق القديمة والأساسية، لمنعها من التلف. وعند دخول الزوار، لا يتم إعطاؤهم فرصة للاطلاع على الرسائل والخرائط والأفلام المشوقة والمثيرة للاهتمام التي تقدّم لهم لمحة عن تاريخ الوطن فحسب، بل إنهم يتمتعون بفرصة القيام باستكشافاتهم الشخصية حول الأخبار المسجلة في الوثائق.

يعدّ مركز بوينغ التعليمي مقرًا لبرامج التعليم الوطنية أو القومية للمتحف الوطني للأرشيف الوطني. وتتيح غرفة المصادر أو المراجع الموجودة في المركز للمعلمين والتلاميذ والأهالي الاطلاع على الوثائق بشكل مفصّل والتمعّن فيها. وفي مختبر التعليم، بإمكان التلاميذ من مختلف المدارس أخذ مواعيد للاطلاع على المصادر الأولية المتعلقة بالدستور الأميركي لأبحاثهم.

وأهمّ ما في زيارة متحف الأرشيف الوطنيّ، وقفة عند البناء الدائري (الروتندا) لوثائق الحرية، حيث يتم عرض الوثائق المؤسِّسة لأميركا. وقد أُعيد تغليف إعلان الاستقلال والدستور ووثيقة الحقوق المعروفة جميعها، بوثائق الحرية في الروتندا، المعاد بناؤها في 2003، وهي أول ما تم حفظه في الأرشيف الوطني في العام 1952.

معرض وثائق الحرية، أي الوثائق المؤسّسة، يستعين بوثائق تاريخية من الأرشيف الوطني للإجابة على سؤالين أساسيين: كيف أُنتِجَت؟ وما أهميتها؟

يحوي مبنى الأرشيف الوطني الكثير من المجسمات والنقوش الزخرفية. وعلى إحدى المجسمات نُحتت هذه الكلمات من مسرحيّة «العاصفة» لشكسبير: «ما مضى هو في المقدّمة». وبالتّالي، وبكلّ تأكيد، لم يعد هناك سبب أفضل لحفظ المواد الوثائقيّة للتجربة الأميركيّة.

آلاء هاشم: اختصاصية أرشيف من لبنان، بكالوريوس في علم الأرشيف والمكتبات، تعدّ رسالة ماجستير حول تفحّص المعايير المعتمدة لبناء المواقع الإلكترونية للمكتبات الجامعية. سكرتيرة تحرير مجلة أرشيفو.

صفحة الفايسبوك alaa hachem

مقاومة الإلغاء: كيف تُصان الذاكرة من الإلغاء المتعمد؟ عن العبودية في جزر القمر

غنى مونّس

ما الذي يحفظ الذاكرة؟ ما الذي يمنعها من أن تركن إلى زوايا النسيان؟ ما الذي يدفعها إلى الثورة على جدران السجون التي تُفرَض عليها وتُحَجّم دورها لتكاد تلغيها، وتمحوها من الوجود؟ وكيف تصونها الشّعوب من كل محاولات إلغائها وإبادتها؟

تمتد الذاكرة لتشمل دائرة كبيرة من الموضوعات، غير أن بعضها يستعصي عليها، ويستوجب البحث عنه إرادة لا تتزعزع، وجهودًا لا تلين.

من بين هذه الموضوعات، اختار الباحث «سيتي يحيى» أن يعالج موضوع العبودية، وهو موضوع حاول الكثيرون التكتم عليه، فتحدثوا طويلًا عن العبودية في منطقة المحيط الأطلسي، غير أنهم غضوا أبصارهم ووثائقهم عنها في جزر القمر، ووقف عدد من الباحثين والمثقفين، في وجه هذا التّهميش، من بينهم سيتي يحيى، الذي تطرق إلى العبودية في جزر القمر من خلال الاعتماد على التراث الشفهي .

حتى لو كانت العبودية موضوعًا يلفه الغموض، يجد يحيى أن دراستها في أرخبيل جزر القمر أمر ممكن من خلال اللغة، التي تتضمن عددًا من المصطلحات تعود إلى عالم الاستعباد، فيقول إن «اللغة حاضرة لتذكرنا بما نرفض استحضاره».

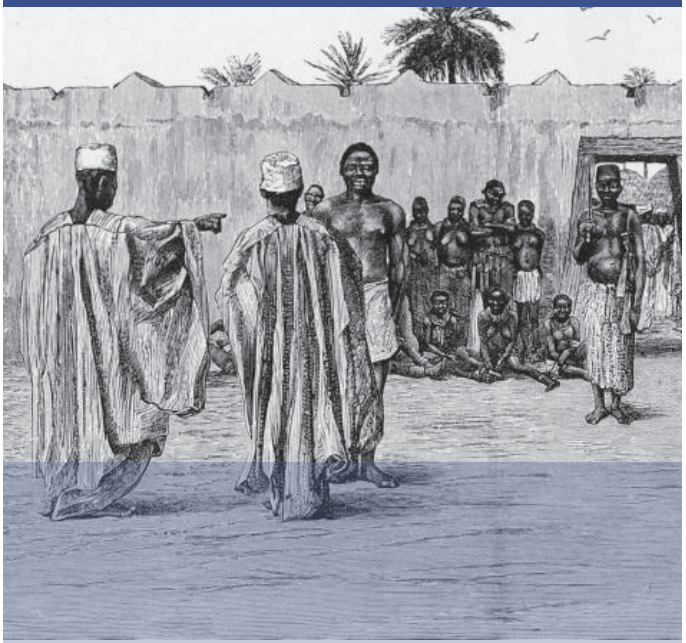

«عبودية» مغيبة من الذاكرة الجماعية

«عندما نتناول موضوع العبودية في جزر القمر، نستنتج، فيما يتجاوز النفي والإنكار، عدم معرفة الناس بها»، هكذا ابتدأ يحيى موضوعه، مشيرًا إلى أن العبودية التي، لطالما تم ذكرها في الأدب والإعلام والسينما، هي تلك في منطقة الأطلسي بشكل عام، فيما هُمِّشت العبودية في جزر القمر.

من هنا، انطلق يحيى ليتناول «العبودية في جزر القمر» على وجه الخصوص، وليعيدها إلى الواجهة الأمامية للذاكرة. وهو يقر أن «الحديث عنها [العبودية في جزر القمر] ليس أمرًا سهلًا»، إذ أن «الموضوع هو من بين الأمور التي لا يُفتَرَض بالنّاس التكلم عنها»، و»من المخزي والمعيب أن يعتقد الإنسان أن أجداده كانوا من العبيد».

ويذهب يحيى إلى القول إنه «لمن المدهش أنه حين نذكر العبودية في جزيرة مايوت، فإن الموقف العام يتمثل في نفي وجودها: «لم يكن هناك عبودية في مايوت»»، بالفعل، كان هذا الموقف الرسمي لمسؤول سياسي تجاه معرض للأرشيف في مايوت، تحت عنوان: العبودية في المحيط الهندي، منذ القدم حتى إلغائها، الذي تم تقديمه للجمهور في 10 فبراير/شباط 2010. ويضيف يحيى: «للأسف، لم يكن الوحيد الذي يفكر بهذه الطريقة».

الدافع وراء ذلك؟. سياسي بالطبع: من خلال «لم يكن هناك عبودية في مايوت»، كان المراد القول إن «فرنسا لم تمارس الاستعباد في مايوت».

مقاومة التهميش

شهدت جزر القمر، ومن بينها مايوت، الرق بمختلف أنواعه، من الخدمة في المنازل إلى الزراعة والعمل في الحقول، وحتى الاستعباد الجنسي، إذ يشير تقرير للقائد الأول في جزيرة مايوت، يعود إلى العام 1843، وهو القائد باسو Passot، إلى أنه منذ «وصول سفينة الحرب، أرسل الزعماء الرئيسيون عبيدهم إلى مختلف أقسام الجزيرة، وأخذ كل منهم قطعة الأرض التي وجدها الأفضل بالنسبة له». أما فيما يتعلق بالاستعباد الجنسي، فقد وثقته قصص السفر إلى جزر الكومور، واللغات المستخدمة فيها، التي تحوي مصطلحات معينة للإشارة إلى عشيقات السيد.

وتروي قصة في مطلع القرن التاسع عشر أن مسافرًا ورفيق غرقت سفينتهما في موهيلي، فتم بيعهما كعبدين إلى ثري عربي اسمه عثمان، اصطحبهما إلى منزله، وأدخلهما إلى حريمه، حيث توجد نساء لم يغادرن هذا المكان المغلق أبدًا.

حضور العبودية في الذاكرة المعاصرة

حتى لو كانت العبودية موضوعًا يلفه الغموض، يجد يحيى أن دراستها في أرخبيل جزر القمر أمر ممكن من خلال اللغة، التي تتضمن عددًا من المصطلحات تعود إلى عالم الاستعباد، فيقول إن «اللغة حاضرة لتذكرنا بما نرفض استحضاره».

ويشير إلى أن بعض الأشخاص يوافقون نوعًا ما على التكلم عن هذا الماضي، الذي لا يشعرهم كثيرًا بالفخر، فيقول إنه، من خلال إحدى الشهادات على سبيل المثال،

يمكننا أن نعرف أنه كان هناك مركز لإيداع العبيد في باندیرلي، في الجنوب الشرقي للمايوت. ويكمل الراوي قائلًا: «زعيم باندیرلي، كان يذهب لإحضار العبيد من أفريقيا، ويصحبهم إلى منزله. ومن كان يحتاج عبدًا كان يأتي إليه. لقد كان مالكًا كبيرًا».

شاهد آخر، كان بحارًا قديمًا، يروي أن العبيد كانوا يزرعون الحقول، وأن السّلطان «[رامانيتاكا] كان يجعلهم يعملون كالحيوانات».

وللتوثيق أكثر، أورد يحيى في دراسته، بعض التعريفات التي حصل عليها من خلال عمل فيلو موارابو، وهو رجل كان يهتم بالتاريخ المحلي.

خرق المحظور

لفعل ذلك، يقول يحيى إنه يجب نقل النقاش بشأن العبودية من الدوائر المغلقة إلى العلن. فالتاريخ المحلي مهمش في المدارس. وفي العام 1995، عند نشر الكتاب الأول للتاريخ، المخصص لطلاب المرحلة الابتدائية، في جزر مايوت، تجلت أهمية موضوع العبودية بتغييبه من بين الموضوعات الواردة فيه، وتكرر الأمر لاحقًا في العام 2010 عند نشر كتاب آخر، إذ تم فقط ذكر العبودية في المحيط الأطلسي.

والمرة الأولى التي استُحضِر الموضوع فيها كانت منذ فترة وجيزة، حين تخطى يوم 27 أبريل/نيسان مجرد كونه يوم إجازة، واهتمت به الصحافة المحلية لأول مرة في العام 1989، غير أن إحياءه بفعاليات مختلفة بدأ فعليًا في العام 1994.

إجراءات الأرشيف الرسمي في جزر القمر

يقول يحيى إن خطوات قسم الأرشيف الرسمي في جزر القمر كانت تصب في إطار الاطلاع بشكل أفضل على تاريخ العبودية في المنطقة. ومن أجل ذلك، نُظِم معرض عن إلغاء العبودية في الذكرى الـ 150 لإلغائها، في العام 1995.

بالإضافة إلى ذلك، تم عرض مجموعة من المراسلات بمناسبة اليوم العالمي للتراث، وكانت عن إلغاء العبودية، والمتاجرة غير الشرعية بالعبيد.

ويضيف في الدراسة أنه مؤخرًا، أي في العام 2010، نُظِّم معرض آخر، تطرق إلى ممارسة تجارة الرقيق والاستعباد في المحيط الهندي، وأُرفِقَت بملف تربوي مختص عن ذاكرة الاستعباد.

ويضيف يحيى في ذلك إن هذه المعارض قُدّمت أساسًا للمدارس والمؤسسات التربوية، غير أنها جذبت انتباه المكتبات العامة، وبعض الجمعيات، الأمر الذي سمح لها بالوصول إلى أكبر عدد ممكن من الأشخاص. بالإضافة إلى ذلك، قُدِّمت هذه المعارض في أطر ثقافية في المنطقة (مثل مدغشقر وغيرها من جزر الأرخبيل).

عمل قسم الأرشيف المحلي بخصوص قضية العبودية لاقى ردة فعل متفاوتة من قبل الجمهور. بعضه ذهب إلى النفي البسيط للأمر، وآخرون تحمسوا لكون مثل هذا الموضوع يثار أيضًا بشكل علني. أضف إلى ذلك، وجود عدد كبير من المشككين بصحة الطروحات التي تضمنتها النقاشات.

والنتيجة...

برأي يحيى، سيتمكن هذا العمل من تأكيد صحة بعض الطروحات التاريخية بشأن تاريخ الجزيرة. والمثال الأبرز على ذلك هو قصة بكري كوسو، أحد الملازمين في جيش السلطان أدريانت ستولي الذي تخلى عن مايوت لصالح فرنسا في العام 1841. وفي تقرير لجنة تحرير العبيد، تمت الإشارة إلى أنه كان يملك 23 عبدًا. وهو من بين الأشخاص الذين كانت الحكومة الفرنسية تخصص لهم مبلغًا سنويًا. غير أنه خلال السيطرة الفرنسية، وجدت مجموعة ساكالافا التي كان يشكل جزءًا منها، والتي كانت تتحكم بالسلطة، أنها أصبحت مساوية لبقية السكان، «فكان يرى، يومًا بعد يوم، اضمحلال النفوذ الذي كان يمتلكه سابقًا في البلاد».

وفي العام 1856، ترأس ثورة الأشخاص الذين يحتجون على التنظيم الجديد للعمل في المستعمرة. واستطاع استغلال حقد الموزامبيقيين، فاستخدمهم كسلاح لمحاربة أولئك الذين جردوه من السلطة، غير أنه، في الذاكرة الجماعية، يتم إبرازه كمدافع عن المظلومين. في الواقع، حُكِم عليه بالإعدام ونُفِّذ الحكم في الساحة العامة في دزاووزدي، ومنذ ذلك الحين، تركزت صورته كشهيد في الأذهان.

خلاصة

تواجه الأعمال التي يجريها قسم الأرشيف في مايوت مواجهة فكرية شديدة جدًا، لا سيما تلك المتعلقة بذاكرة العبودية. ويتجلى هذا الرفض أولًا برفض مقاربة الموضوع، وأيضًا بعملية تشويه للحقيقة التاريخية، ويتفاوت مدى إدراك عملية التشويه والتضليل هذه.

في ذلك، يخلص يحيى إلى القول إن البحوث في هذا المجال ما تزال قليلة جدًا، ولا تُنشَر على نحو كاف، لتغيير مدى الإدراك الحقيقي لمسألة العبودية لدى الأفراد. ولذلك، يتوجب على العاملين في هذا المجال أن يأخذوا بعين الاعتبار عملية حفظ الذاكرة الجماعية هذه بحيث يتمكنون من الوصول إلى الرأي العام.

غنى مونس: باحثة ومترجمة وأستاذة جامعية من لبنان. تعمل أيضًا في مجال الصّحافة الإلكترونية. تعد رسالة ماجستير في الإعلام والتواصل في الجامعة اليسوعية في بيروت

صفحة الفايسبوك ghina.mns1

المصادر والمراجع:

للمزيد من المعلومات، انظر الدراسة التي أجراها الباحث سيتي يحيى بعنوان: « إيقاظ الذّاكرة: العبودية في الوثائق الشفهية في أرشيف جزيرة مايوت».

https://insitu.revues.org/10175

تقرير كعبان وريا مجنبت جعفر واحلي عمرها تخمينا بالاثنين سنة ١٣٤٩
٢٨ ذي الحجة

سيدي يسلمي سعيد ذا ابالا لغزاهل راس الخيمة تشتري والدتي تحصلوها وزوجنا بخادمها اسمها جمعة
فجملت عنده فاتت بي فلما بلغت سن ١٢ سنة سيدي المذكور ردني فجملت عنده واتيت
عنده بولد اسمه جمعة عمره بيح سنين سيدي سعيد المذكور توفا ووالدتي توفت
تنقاسموا والاسيدي متوركانة فصرة انا في سهم ابنه الما علي سعيد هذا الولد دخلت
في بلكد ما رايت عند الخشم ولا كرامة ولا اكسوة ودايما يضربني فلما ان راح بيع
ولدي جمعة وهو في والده سعيد لهذا تصدق لغرضه لوبيت غريبة وصلت بيتي
وهي كبالبوزيد في بيت الخيمة التمس مني واحلها ولا تخليني بيمن علي ولدي او باقي الحريد لانا كنا
مرقيد واهانة ابن سيدي هذا كلام

اقر لمن يجيوه عند الحاجة

وثيقة وحكاية

«عشّ النمل»

ملفّ العبيد في الخليج والبحرين

د. محمد السلمان

الزمان: شهر أكتوبر من العام 1872م.
المكان: قبالة السّاحل الأفريقي.
المصدر: عدد من جريدة «التايمز» الهندية.

على مسافة 4630 كيلومترًا، وفي وقت من الزمن يصل إلى 25 يومًا أحيانًا، كانت السّفينة تتهادى في عرض البحر، وهي في حالة يُرثى لها، بسبب عدم صيانتها لفترة طويلة، والوزن الزائد الّذي يجثو على سطحها أو يئنّ من الألم في جوفها.. فبين شهري نوفمبر وفبراير من كلّ عام، تنطلق تلك السّفينة العربية وغيرها، التي كان سكان شرق أفريقيا يرتعبون منها، كما كانت قلوب أخوتهم الأفارقة ترتعب من أصوات السفن الأوروبية التي تنطلق من أوروبا؛ القارة الرأسمالية آنذاك، إلى غرب أفريقيا المنكوبة، للتعامل مع أقذر تجارة بشرية حرَّمتها الأديان والضّمير، وهي تجارة اصطياد الرقيق وبيعهم.

تقول بقية الحكاية، مع تباشير شهريْ أبريل ومايو، توقّع تجار الرقيق وصول تلك السفينة الموعودة من زنجبار إلى صور العُمانية، ولكن ظهور السفينة الحربية الإنجليزية «فلشر» فجأة في المياه الأفريقية أمام سفينة تجار الرقيق، أربكتهم وأحبطت محاولة صيدهم البشريّ الثمين. 169 عبداً جرى اصطيادهم من شرق أفريقيا، بعضهم أطفال لا يتعدى عمرهم ثلاث سنوات، نالت منهم وحشيّة من اصطادهم وحرمهم من عائلاتهم، وقسوة التّجار العرب الَّذين نقلوهم من هناك للبيع في منطقة الخليج.

وقد ذكرت جريدة «التايمز» الهندية، أنَّ «من المستحيل للوهلة الأولى تقدير عدد العبيد الّذين احتشدوا على ظهر السفينة أو في أسفل مخازنها، إلى درجة يبدو معها المكان أنه عبارة عن «عش النمل»، لولا مظهر البؤس. أضف أنَّ

رائحةً كريهةً لا تطاق كانت تنبعث من جوف السفينة. كانت عدة بوصات من عمقه مغطاة بأقدار ماء راكدة وقمامة. وفي أسفل السفينة، توجد أعداد من الأطفال والمخلوقات التعسة في أسوأ مراحل الجدري وداء الخنزير، ولا يمكن أن يُرى منظر أكثر اشمئزازاً من هذا المشهد. يكفي أنَّ قذارة المركب بلغت حدًا لا يستطيع البحارة أن يتحمّلوه.. وفي الوقت الّذي نقل الرقيق من تلك السّفينة التعسة إلى السفينة «فلشر»، ونزلوا إلى جزيرة «بوتشر» في بومباي، مات 15 شخصًا من الأشخاص البالغ عددهم 169. ومنذ ذلك الحين، زادت نسبة الوفيات بينهم... كثير من الأطفال كانوا صغارًا لا يتعدى عمرهم ثلاث سنوات، ومعظمهم يحملون آثار قسوة العرب، من جروح لم تلتئم بعد، وكدمات ناتجة من السوط والعصا»[1].

بريطانيا وتجارة الرقيق في الخليج

تلك كانت بعض مظاهر التجارة بالبشر بين شرق أفريقيا ومنطقة الخليج، فيما عُرف في تلك الفترة بتجارة الرقيق، التي حاربتها السلطات الاستعمارية البريطانية، كما أعلنت من موقعها في الهند والخليج، سنّ القوانين وتوقيع الاتفاقيات للقضاء عليها. وأوّل قانون صدر في بريطانيا في العام 1772، هو منح الحرية لأيّ عبد تطأ قدماه الجزر البريطانيّة، ثم جاء صدور قانون العام 1838 ليمنع حق تملّك الأرقاء في جميع المستعمرات البريطانية عبر البحار، ومنها منطقة الخليج، التي طبّقت فيها سلطات الحماية البريطانية شيئًا من ذلك القانون، عبر البند أو الشرط التاسع مما سُمي «معاهدة العمومية مع الأقوام العرب في خليج فارس سنة 1820»، إذ دوّنت فيه التالي: «إنَّ نهب الرقيق الرجال والنساء والأولاد في سواحل السودان أو غيره، وحملهم في المراكب، هو من النهب والغارات، فالعرب المصالحون لا يفعلون من ذلك شيئاً»[2].

لذا، شدّدت السلطات البريطانية في الخليج، عبر اتفاقية أخرى أُطلق عليها اسم «ترك معاملة الرقيق سنة 1847»، على إجراءات محاربة تجارة الرقيق. وقد وقّعتها مع مشايخ المناطق الخليجية التي تقع تحت سيطرتها أو حمايتها، ونصّت على «توقيف حمل ونقل العبيد من سواحل برّ أفريقيا وغيرها»[3].

وبناءً عليه، وقّع كلّ شيخ عليها من خلال هذا النصّ المنقول بأسلوب ركيك إلى اللغة العربية: «أنا يا (فلان)، أتعهّد وألتزم على نفسي أن أمنع جميع أخشابي وأخشاب رعاياي والمتعلقين عليّ من حمل ونقل العبيد من سواحل بر الأفريقية وغيرها، ابتداءً من غرة شهر محرم سنة 1264 هـ مطابق عاشر دزمبر 1847»[4].

واستناداً إلى هذه الاتفاقية، قامت سفن الأسطول البريطاني بمطاردة أية عملية استيراد للرقيق ومتاجرة بهم، وبخاصة من القارة الأفريقية، وفرضت أقسى العقوبات على من يقوم بها، وربما النفي من بلدانهم إلى خارج المنطقة، إلا أنها لم تنجح كلياً في تحقيق هدف منع تجارة الرقيق من السواحل الأفريقية، وتحديداً عند جزيرة مصيرة، و«زنجبار»، و«كلوة»، و«جوبا»، و«براوة»، حتى بعد وصول بوارجها الحربية الكبيرة، مثل «دجلة»، و«كوين»، و«فولك لاند»، وغيرها إلى تلك المناطق[5].

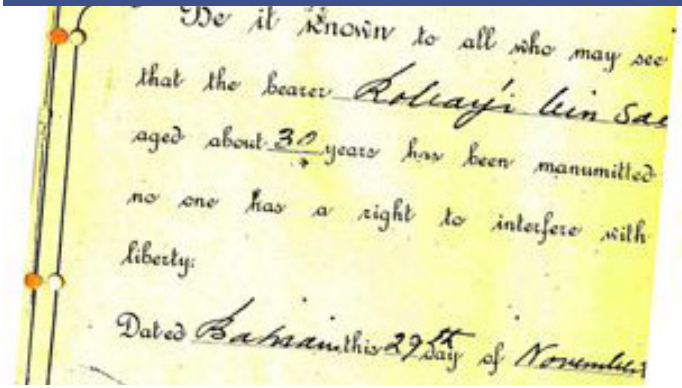
Be it known to all who may see
that the bearer Rolayi bin Sa
aged about 30 years has been manumitted
no one has a right to interfere with
liberty.
Dated Bahrain this 29th day of Novembe

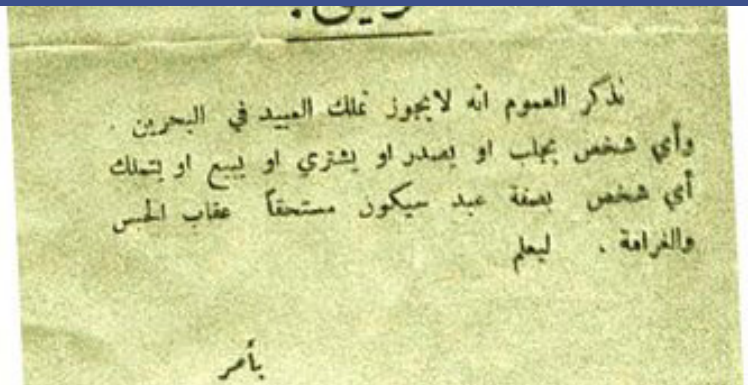
نذكر العموم انه لايجوز تملك العبيد في البحرين .
وأي شخص يجلب او يصدر او يشتري او يبيع او يتملك
أي شخص بصفة عبد سيكون مستحقاً عقاب الحبس
والغرامة . ليعلم
بأمر

ولأنّ الشّيء بالشّيء يُذكر، فقد كانت أهمّ أنواع تجارة الشركات البريطانية عبر البحار، تلك التي ارتبطت بحكايات مروعة جداً لتجارة العبيد بين القارة السوداء (أفريقيا) والأراضي الجديدة في أميركا الشمالية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد.

وثائق العبيد في الخليج

هذه المقدّمة التاريخية البسيطة كان لا بدَّ منها لعرض عدة وثائق في هذا العدد بشأن قضية العبيد، التي كانت تسيء إلى الإنسان الخليجي وحضارته الإسلامية، قبل أن تقضّ مضجع السلطات الإنجليزية، التي استطاعت، بحجة محاربة هذه التجارة، أن تتوغّل أكثر من اللازم في إدارة شؤون مشيخات الخليج، وأن تُحكم قبضتها الحديدية عليها.

وبحسب مجريات تاريخ تجارة العبيد، كان من المفترض أن تتوقّف هذه التجارة البشعة منذ منتصف القرن التاسع عشر، بناءً على المعاهدات والاتفاقيات التي وقّعها المشايخ مع سلطات الحماية البريطانية في المنطقة، كما ذكرنا، إلا أنَّ الإحصائيات الإنجليزية التي أمكن تتبّعها بواسطة بعض ضباط البحرية الإنجليز بين العامين 1860 و1861 في الخليج، قدّرت عدد الرقيق المستورد من شرق أفريقيا وحدها إلى سواحل الخليج الشرقية والغربية بين 4000 و10,000 عبد[6].

وبما أنَّ ملفّ العبيد في الخليج يحتاج إلى دراسة مطوّلة، ربما تتيح «أرشيفو» إجراءها مستقبلاً، فسوف اقتصر هنا في باب حكاية وثيقة على عرض عدة نماذج ناطقة بأحوال بعض العبيد في الخليج، ومنهم نساء، وذلك من واقع الوثائق البريطانية المثقلة بمثل هذه الحكايات.

أوّلها، وثيقة عن امرأة تُدعى مريامي، أو مريم بنت جمعة السواحلي. ويبدو من الاسم واللقب أنها من سواحل

شرق أفريقيا. وعمرها، تخميناً، كما تذكر الوثيقة، 30 سنة. أما تاريخ الوثيقة، فهو 28 ذو الحجة من العام 1349 هـ (16-5-1931م). تذكر فيها هذه المرأة أنَّ والدتها، وتسمى (صلوحة)، اشتراها أحد مواطني رأس الخيمة وزوجها من خادمه المدعو جمعة، فولدت له هذه الفتاة. وعندما بلغت مريامي من العمر 17 سنة، راقت لسيّدها، فعاشرها وحملت منه، وأنجبت ولداً أسمته جمعة أيضاً، كان عمره عند كتابة الوثيقة 7 سنين.

وعندما توفيت والدتها وسيّدها، انتقلت ملكيّتها، كما هو إرث المتوفى، إلى أولاده، فصارت من نصيب أحد الأولاد، ويدعى علي بن سعيد، الذي كان يعاملها بقسوة شديدة كما تذكر. وعندما أراد بيع ولدها جمعة دونها، هربت منه، ولجأت إلى بيت «الباليوز» في المعتمدية في رأس الخيمة، ملتمسةً من (الدولة الإنجليزية)، كما سمتها، بأن تمُنّ عليها وعلى ولدها بأوراق الحريّة والفكاك من إهانات ابن سيّدها السابق.

أما الوثيقة الثانية، باللغة الإنجليزيّة، فهي لعبد كان عمره 28 سنةً عند تدوينها، ويُدعى (Charshan bin Siyaook). يذكر فيها أنّ سمسار عبيد اسمه عبدالكريم، اختطفه في سن الثالثة عشرة، فأُحضر إلى مسقط، وجرى بيعه لأحدهم في سوق النخاسة، ومكث عند هذا الشخص سنة كاملة، ثم جرى بيعه لرجل آخر في الشارقة، مكث عنده لمدة خمس سنوات. وهناك ذاق ألوان العذاب، أبرزها الضرب المبرح والجلد بالعصا، فقرّر الهرب مع أربعة عبيد آخرين، ونجحوا في ذلك، ووصلوا بحراً إلى ميناء «باسيدو» على الساحل الفارسي. وجرت حمايتهم بواسطة الجنود الإنجليز في ذلك الميناء، وأرسلوهم إلى البحرين التي كانت تُعتبر، بالنسبة إليهم، أكثر أمناً. وهناك طلبوا الحصول على شهادة العتق من الرق والانتقال إلى حياة الحرية. وتتضمّن الوثيقة توقيع المعتمد البريطاني في البحرين بتاريخ 1931م، وبصمة العبد.

وبما أنَّ الوثيقة ذكرت البحرين، نُشير هنا إلى وجود سوق خاص لبيع العبيد وشرائهم فيها منذ القرن التاسع عشر، كما بقية الأسواق في منطقة الخليج، وعالم المستعمرات الإنجليزية، وبقية المستعمرات الأوروبية في العالم. وكان من مظاهر الثراء آنذاك، وجود العبيد في العائلة الميسورة في البحرين، كما هو الحال عند الأسرة الحاكمة.

ويذكر بعض المُعمّرين، أن هذا السوق كان يقع في الحيز نفسه الذي يشغله حالياً شارع الشيخ عبدالله، إلا أنه، وضمن اتفاقية منع تجارة الرقيق التي وقعتها السلطات البريطانية في الخليج مع الشيخ محمد بن خليفة في العام 1847م، أُغلق رسمياً، أو في العلن فقط، ولكن تجارة الرقيق بقيت، سراً أو بشكل غير مباشر، متواصلة في البلاد.

لذا، كانت السلطات البريطانية في الخليج حتى العام 1900، تفرض غرامات على الشيوخ ورعاياهم بسبب المخالفات المتعلّقة بتجارة الرقيق، ولكن شيوخ البحرين استُثنوا منها، بناء على توصية (جاسكن) مساعد المعتمد السياسي في البحرين، والمنشئ معه السيد عباس بن فضل، والعقيد (كيمبل) المقيم السياسي للخليج في «بوشهر»، وكان يسمح للشيخ بأن يحتفظ بالغرامة التي يدفعها المخالفون من أهل البحرين، شريطة ألا يُردّ المال إلى الشخص مرتكب المخالفة![7].

لا يجوز تملّك العبيد

ضمن سياق الدليل التاريخي الموثق لملفّ العبيد في الخليج، نستعرض أيضاً وثيقتين تخصّان البحرين تحديداً، على الرغم من أنهما ذات علاقة بالوضع العام للعبيد في الخليج ككلّ. وللمصادفة، فقد صدرتا باللغتين الإنجليزية والعربية.

الوثيقة الأولى، عبارة عن إعلان خاصّ بالعبيد في البحرين، صدر في أغسطس/ آب للعام 1937، يقول:

إعلان

العدد 40/ 1356

الرقيق

نذكر العموم أنه لا يجوز تملك العبيد في البحرين.

وأيّ شخص يجلب، أو يصدّر، أو يشتري، أو يبيع، أو يتملّك أي شخص بصفة عبد، مستحقًّا عقاب الحبس والغرامة، ليعلم.

بأمر حمد بن عيسى آل خليفة
حاكم البحرين
حرر في 4 جمادى الثانية 1356
الموافق 11 أغسطس 1937».

أما الوثيقة الثانية المميّزة بصورة العلم البريطاني، فهي عبارة عن ورقة أو شهادة عتق إنجليزية لأحد العرب، صدرت في نوفمبر/ تشرين الثاني للعام 1945، جاء فيها ما يلي:

نمرة 57 للعام 1945

الحكومة البريطانية (أما في النص العربي، فجاءت بلفظ الدولة البهية القيصرية الإنجليزية).

ورقة عتق (شهادة عتق)

ليكن معلوماً لكافة من يراه، بأن حامل هذه الورقة، ربيع بن سعيد، وعمره حوالي 30 سنة، قد أُعتق (صار حراً)، ولهذا، لا أحد له الحق التدخل في حريته.

حرر في البحرين 29 نوفمبر 1945

توقيع ورتبة المندوب البريطاني».

وُيلاحظ على شهادة العتق البريطانية، أنها عبارة عن استمارة رسمية معدة لعتق أيّ رقيق في أية منطقة من مناطق الخليج الواقعة تحت سلطة الحماية البريطانية، وهذا ما يُفسّر سبب إرسال العبد الهارب المذكور أعلاه من الشارقة إلى البحرين في العام 1931م.

كما يلاحظ أنّ الفرق بين الإعلان الصّادر عن حاكم البحرين للعام 1937، بمعاقبة من يمارس تجارة الرقيق واستعباد الناس الأحرار، وصدور شهادة العتق المذكورة العام 1945، نحو تسع سنوات. وخلال تلك الفترة، يبدو أنَّ عملية العبودية بين الشراء والتملّك والبيع لم تتوقّف، وإلا لما صدرت شهادة بعتق العبيد، ما يعني وجود عبيد حتى تلك السنوات، وإن كانت هناك وجهة نظر في تفسير معنى العبودية بين التجارة ببني البشر والخدمة بأجر. ومثل هذا العتق أيضاً يفسّر وجود بعض هؤلاء العبيد في المجتمع البحرين واختلاطهم به بعد تحررهم من رقّ العبودية، حتى صاروا ضمن نسيج السكان لاحقاً.

وأخيراً، ضمن عملية تحرير العبيد في الخليج، يذكر (لوريمر) أنّ السلطات البريطانية في الخليج، وحتى العام 1889م، وبعد أن تدفع الرسوم المتصلة بتحرير الرقيق في البحرين والخليج من ميزانية المستعمرة البريطانية في الهند، كانت تنقل هؤلاء العبيد المحررين إلى (بومباي) إذا أظهروا عدم رغبتهم في البقاء في الخليج[8].

وللحكاية تتمة..

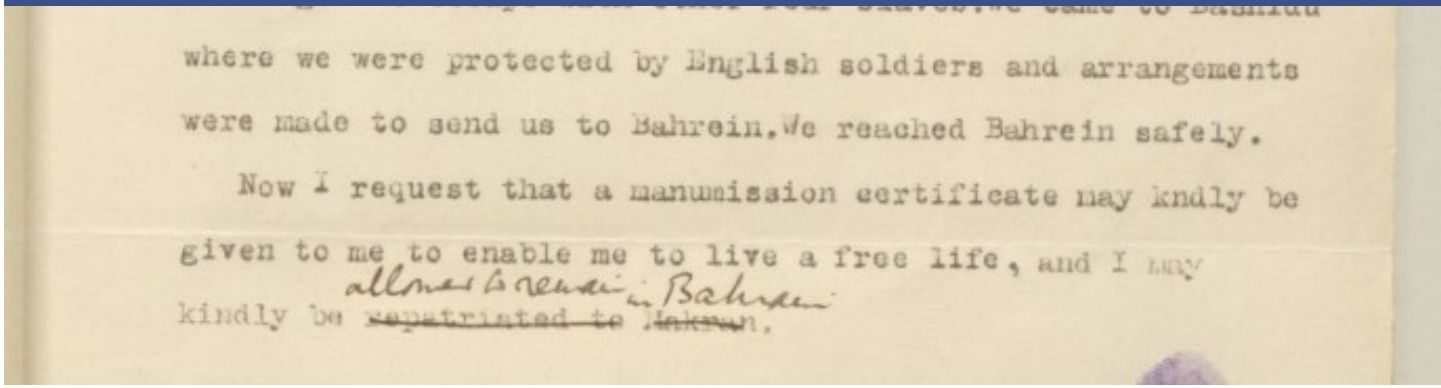
where we were protected by English soldiers and arrangements were made to send us to Bahrein. We reached Bahrein safely.

Now I request that a manumission certificate may kndly be given to me to enable me to live a free life, and I may kindly be ~~repatriated to Hakeem~~ allowed to remain in Bahrein.

د. محمد السلمان: باحث متخصص في التاريخ من البحرين، أعد أطروحة دكتوره في جامعة هال البريطانية حول المظاهر السياسية والاقتصادية للحكم البرتغالي في الخليج، صدرت له مجموعة من الكتب التاريخية والترجمات.

للتواصل عبر الإيميل: adoommoon@gmail.com

المصادر والمراجع:

1. لوريمر، ج. ج.، دليل الخليج، القسم التاريخي (قطر، د. ت.)، ج 6، ص 3471 - 3472.
2. Aitchison, C. U., (Editor), A collection of Treaties, engagements and Sanads Relating to India and Neighboring countries, (Calcutta, 1929).
3. سلدانها، ج. ج.، تاريخ البحرين السياسي من العام 1753 - 1904 التأسيس والازدهار، ترجمة: فتوح عبدالمحسن الخترش، (الكويت، 1992)، ص 36. وقد وقّعها الشيخ محمد بن خليفة كحاكم للبحرين حينها.
4. J.B. kelly, Britain and the Persian Gulf, (London 1968), p.589
5. لوريمر، ج. ج.، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج 6، ص 3468 - 3469.
6. لوريمر، ج. ج.، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج 6، ص 3470.
7. لوريمر، ج. ج.، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج 6، ص 3466 - 3467.
8. لوريمر، ج. ج.، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج 6، ص 3464 - 3465.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما اولانا من ملاح مناهج التوفيق وهدانا من مطارح
مدارج التحقيق ودلنا من مسارح معارج سوا الطريق والصلوة على
افضل الاولين والآخرين واكمل النبيين والمرسلين محمد المصطفى و
عترته الطاهرين اجمعين اما بعد فان الله سبحانه وتعالى لما
وفقني فيما مضى من الايام والتقى زماني بيد المولى الامام الهمام سيف
الاسلام علامة الانام لسان الحكماء والمتكلمين جمال المحققين والمحققين
كمال الملة والدين ابي جعفر احمد بن علي بن سعيد بن سعادة تلقاه
الله باكمل الوفادة وتولاه بافضل الزيادة وبلغه من منازل عليين اعلى
مراتب المقربين اشار من جملة المباحث الشريفة الالهية والمسالك
اللطيفة القدسية الى ايراد هذه المسئلة مسئلة العلم على الاطلاق
وذكر فيها ما يتعلق بالخلاف والوفاق بين المتقدمين والمتاخرين
والحكماء والمتكلمين فانشعب منها كما ترى تفاريع جليلة ومسائل
مسلسل بنيله تطلع المتامل فيها على جواهر مكنونة وتصل المتفكر

كشكول

أديم الأرض (١)

الشيخ الإمام كمال الدين أبو جعفر أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة البحراني

الشيخ فاضل الزاكي

عُرِفت البحرين منذ العصور الإسلاميَّة الأولى كمركز إشعاع حضاريّ وعلميّ، فقد أنجبت العديد من العلماء الأفذاذ الَّذين كانت لهم أدوار مؤثرة في شتى المجالات، والأمثلة كثيرة، لسنا في صدد حصرها أو استعراضها.

والمتتبّع لتاريخ البحرين العلميّ، يمكنه أن يلحظ أمرين مهمّين:

الأوَّل: أنَّ البحرين، ورغم كونها جزيرة مقطوعة عن العالم، وبعدها عن الحواضر العلمية النشطة في العالم الإسلامي، فإنّ المعطيات المتوفّرة تؤكّد وجود حراك علميّ بارز فيها، أهّلها للعب دور الحاضرة العلميّة في المنطقة. وبشكل عام، يمكن القول إنَّ هذا الدّور بقي مستمرًا ومتواصلًا دونما انقطاع، بالرغم من كثرة التقلّبات السياسيّة والأمنيّة الّتي مرت بها البحرين طوال تاريخها، والتي كان لها أثرها البارز في ضعف هذا الدور أو اشتداده من زمن إلى آخر، وقد بقي الأمر كذلك حتى عهد قريب.

الثاني: أنَّ كمّية المعلومات المتوفرة حول النّشاط العلميّ في البحرين بشكل عام، تتفاوت من عصر إلى آخر، فيمكن أن توصف أحيانًا بأنها معلومات «قليلة» أو حتى «شحيحة جدًا» فيما يتعلّق ببعض القرون القديمة، وهذا الأمر يختلف بالنسبة إلى القرون المتأخرة، إذ إنَّ المعلومات متوفرة بشكل أفضل نسبيًا. واللافت هنا، أنَّ أقدم المعطيات الموجودة لدينا، تشير إلى تمركز العلماء في القرون القديمة في جزيرة سترة وما جاورها، كـ«جزيرة أكل»، و«قرية الماحوز». ولعل هذه المنطقة كانت بمثابة عاصمة للبحرين آنذاك. بالتأكيد، فإنَّ هذا الأمر لا يلغي الدور العلمي للمناطق الأخرى، حيث إنَّ هذا الاستنتاج مجتزأ، لأنّه مبنيّ على المعلومات الشَّحيحة التي وصلتنا عن تلك القرون، ولا زلنا نفتقد الكثير من المعطيات في هذا المجال. وربما تتغيّر نظرتنا لو وصلتنا.

مما لا شكّ فيه أنّ النشاط العلميّ لجزيرة سترة لم يقتصر على الحقبة القديمة، فقد كان لهذه الجزيرة دورها العلمي الفاعل والمتواصل على مرّ القرون، ويمكن الإشارة إلى كلّ من الشيخ عبد الله بن عباس الستري (المتوفى سنة 1267هـ)، والشيخ أحمد بن صالح آل طعان (المتوفى سنة 1303هـ)، والشيخ علي بن عبد الله الستري (المتوفى سنة 1320هـ)، كأعلام بارزين من أبناء هذه الجزيرة في الفترات الأخيرة.

ولكن، وبحسب المعطيات المتوفّرة، يبقى الشيخ أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة الستري البحراني أقدم من نعرفه من أعلام هذه الجزيرة، وهو شخصية علميّة بارزة. ولكن، مع الأسف الشديد - وكأكثر علماء البحرين السابقين - لم يلقَ هذا العالم الجليل الاهتمام اللائق من مؤسّساتنا الثقافيّة، بل نجد تجاهلًا مقصودًا له ولأمثاله من علماء البحرين الأفذاذ في الإعلام الرسمي لهذا البلد، الّذي يصرّ على التّجاهل التام للماضيّ الإسلاميّ له ولتاريخ علمائه، في حين يركّز اهتمامه على بعض المقابر أو المعابد الوثنيّة لعصور ما قبل الإسلام.

وتأتي المساعي المشكورة لجمعيّة التوعية الإسلاميّة، لتُعرّف المجتمع المسلم في البحرين إلى الماضي الإسلامي المشرق لهذا البلد وعلمائه، وكّلنا أمل بأن تتواصل هذه المساعي وتمتدّ لتشمل بقية أعلام البحرين.

وفي هذا الإطار، طلب مني الإخوة في جمعية التوعية أن أشارك في الندوة التي ستقيمها الجمعية تحت عنوان «أديم الأرض 1»، فرأيت أنَّ أقدم هذه الورقة الّتي استعرض من خلالها بعض الجوانب المتعلّقة بالحياة العلمية للشيخ أحمد بن سعادة البحراني، وبالله المستعان:

ترجمة الشيخ أحمد بن سعادة البحراني

اسمه

هو الشيخ كمال الدين أبو جعفر أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة البحراني.

وربّما نُسب إلى جدّه الأوّل أو الثاني، فيقال أحمد بن سعيد بن سعادة، أو أحمد بن سعادة، وهو من باب الاختصار ما في نظائره.

و»البحراني» نسبة إلى البحرين، كما هو معلوم، وهي نسبة سماعيّة على خلاف القاعدة القياسيّة الّتي تقتضي إضافة ياء النّسبة إلى اسم البلد. وهذه النّسبة السّماعية أثبتها اللغويون والعلماء في معاجمهم ومصنفاتهم[1]، واستعملها العرب الأقحاح في محاوراتهم، فهي هنا أصحّ من النّسبة القياسيّة، أي لفظة «البحريني»، التي تم استحداثها وترويجها في العقود الأخيرة، فمن المعلوم لكلّ مطّلع على قواعد اللغة تَقدّم السّماع على القياس فيها، ولكن، مع الأسف، فإن البعض لديه استعداد لتجاوز كلّ القواعد اللغويّة والنصوص التاريخية في سبيل بعض الأهداف السّياسيّة الضيّقة.

موطنه

عُرِف الشيخ ابن سعادة بنسبته إلى البحرين، فيقال له «البحراني». ومن المعلوم أنَّ «البحرين» كانت تُطلق قديمًا، ويراد منها ما يشمل الحواضر الثلاث، الإحساء والقطيف وجزيرة أوال. ويظهر من جملة من المصادر

أنّها اسم لعموم السّاحل الغربيّ للخليج، أي ما بين البصرة شمالاً إلى عمان جنوباً، وفق ما ذكر الرحالة والمؤرخون[2]. وعليه، فإنّ لفظة «البحراني» في تلك الأعصار ليست نسبةً مختصَّة بجزيرة أوال، التي هي البحرين الحالية، بل هي نسبة إلى عموم الإقليم. والظاهر أنَّ اختصاص جزيرة أوال باسم البحرين، إنما حصل تدريجاً في القرون اللاحقة، وقد برزت هذه النسبة مع بداية الاحتلال البرتغاليّ للبحرين سنة 927هـ/ 1521م، إذ يظهر من المصادر أنَّ اسم البحرين كان يُطلق حينها على جزيرة أوال تحديداً دون بقيَّة المناطق.

ورغم عدم تصريح المصادر بمكان سكناه على وجه التحديد، فإن الذي يظهر من القرائن أنه كان يسكن في جزيرة سترة، حيث يوجد قبره وقبر تلميذه. ولعلّه كان يسكن في قرية «الخارجية»، لأنها أشهر قرى جزيرة سترة وأقدمها، فهي بمثابة العاصمة لتلك الجزيرة.

مشايخه

عند الحديث عن مشايخ عالم ما، ينبغي التَّمييز بين نوعين منهم؛ النوع الأول هو المشايخ الّذين حضر عندهم، ودرس لديهم، واستقى من نمير علومهم، ويُعبر عنهم بـ«الأساتذة». والنوع الثاني هو المشايخ الَّذين يروي عنهم وأجازوه، ويُعبَّر عنهم بـ«مشايخ الإجازة». وكثيرًا ما يكون الشيخ الأستاذ هو شيخ إجازة أيضاً، ولكن لا يوجد تلازم تام في ذلك، ولهذا قد يفترقان خارجًا في موارد عديدة. ولعلَّ الغالب في تلك الأعصار - خلافًا لهذه الأعصار - أن الشيخ لا يعطي إجازة الرواية للشَّخص ما لم يحضر لديه في الدرس مدة مديدة.

لا تختلف علاقة أهالي قريتي «بالجن» عن غيرهم من القرى أو تتمايز عنهم، خوفًا من ذلك المجهول، وتحرزًا منه، وربما توقيرًا له في حديث أو همس

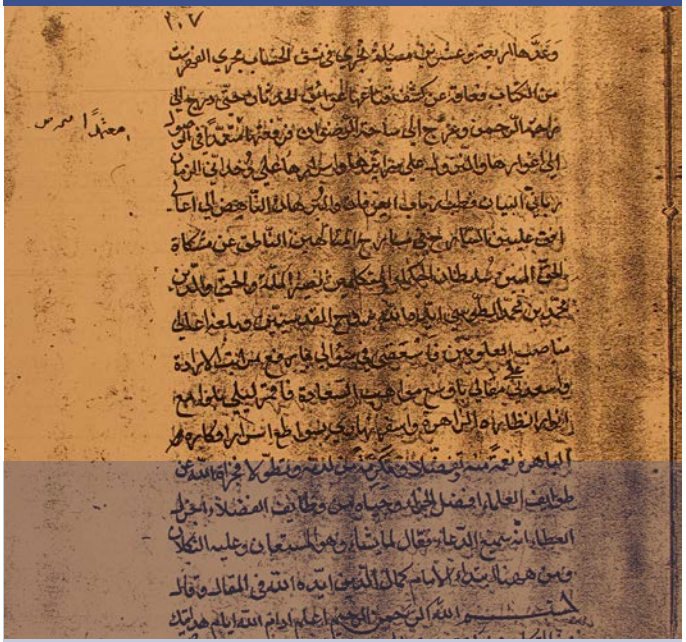

ليست لدينا معطيات كثيرة تشير إلى عدد مشايخ ابن سعادة أو أسمائهم، ولكنَّ المستفاد من بعض الإجازات، ك«الإجازة الكبيرة» التي كتبها العلامة الحلي لبني زهرة الحلبيين، أنَّ الشيخ أحمد بن سعادة يروي عن الشيخ نجيب الدين يحيى السوراوي، ولم نجد في المصادر الموجودة بين أيدينا أيّ تصريح بروايته عن غيره، وإن كنا نطمئن إلى وجود مشايخ آخرين له، كما تقضي العادة الجارية بعدم الاكتفاء بالتتلمذ على شيخ واحد، وخصوصًا أن الشيخ نجيب الدين السوراوي كان مقيمًا في مدينة الحلة العراقية، التي كانت آنذاك تمثل الثقل العلمي للشيعة، وكانت بمثابة الحوزة الأم للحوزات الأخرى، ما يظهر أنّ الشيخ أحمد بن سعادة لا بدّ من أن يكون قد سافر إليها وأقام فيها مدة من الزمن. وخلال ذلك، لا بدّ له من أن يلتقي علماءها البارزين، وهم كثر آنذاك.

ولا شكَّ في أنَّ معرفة شخصية الأستاذ تساهم بنحو وآخر في معرفة شخصية التلميذ، ولهذا لا بدَّ لنا من إلقاء نظرة سريعة ومختصرة على ترجمة هذا الأستاذ:

أستاذه - الشيخ نجيب الدين يحيى السوراوي:

هو الشيخ يحيى بن محمّد بن يحيى بن الفرج السوراوي، يلقب بـ«نجيب الدين». قرأ جملة من كتب الشيخ الطوسي كـ«تهذيب الأحكام»، و«النهاية»، و«الجمل والعقود»، و«المبسوط»، على شيخه الحسين بن هبة الله بن رطبة السوراوي[3]، وقد أجازه في روايتها، كما أجازه أيضًا ابن شهرآشوب المازندراني صاحب «المناقب» و«معالم العلماء». ويروي عنه جماعة كثيرة، منهم ابن سعادة، ووالد العلامة الحلّي، والمحقق الحلّي، وأحمد ابن طاووس. قال عنه الحر العاملي إنّه «كان فاضلاً صالحاً». لم تشر المصادر إلى تاريخ وفاة الشيخ نجيب الدين، ولكن الشيخ السبحاني استظهر بقاءه حياً إلى سنة 620هـ وذلك لرواية المحقق الحلي المولود سنة 602هـ عنه.

لم نطّلع على شيء من مؤلّفات الشيخ نجيب الدين السوراوي، كما لم نجد من أشار إلى وجود مؤلّفات له، ولكن قد يُستظهر من ملاحظة أسماء أساتذته، والكتب التي قرأها عليهم، أنَّ له اهتمامًا واضحًا بعلوم الفقه والحديث، ولم نعثر على ما يشير إلى وجود اهتمامات لديه بالفلسفة والعلوم العقلية.

وهذا الأمر إذا لوحظ مع ما عُرف عن الشيخ أحمد بن سعادة من بروز في ميدان الفلسفة والعلوم العقليّة، يعزّز ما ذكرناه من الاطمئنان إلى وجود أساتذة آخرين له، أخذ عنهم سائر العلوم الأخرى. وعدم عثورنا على أسمائهم، مردّه إلى إهمال ذكرهم في إجازات الحديث الَّتي هي المصدر الأساس في معلوماتنا حول أعلام تلك الحقبة، وما أكثر من تم إهمال ذكرهم في الإجازات لسبب أو آخر! ثم ما أكثر الإجازات التي كتبها المتقدمون، ولم تصلنا نسخها! ولا زلنا بين الفينة والأخرى نطّلع على بعض إجازات الحديث المدفونة في زوايا بعض المكتبات الخطية الخاصة، والتي تُطلعنا على معلومات جديدة لم يكن لنا أن نطّلع عليها لولا هذه النّسخة.

أساتذة محتملون

وإذا كان لنا أن نحتمل بعض الأسماء من مشايخ ابن سعادة، فنحن نستقرب روايته عن اثنين من علماء

البحرين في وقته، هما الشيخ راشد بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن محمّد البحراني (المتوفى سنة 605هـ)، والشيخ قوام الدين محمد بن محمد البحراني (كان حياً سنة 588هـ)، لتقارب عصرهما مع عصره، واتحاد البلد، ولكن مع هذا، لا يمكننا الجزم بذلك.

طريقه في الرواية

من المتعارف بين علمائنا المتقدمين، بل والمتأخرين أيضًا، اهتمامهم الواسع بأخذ الإجازات في رواية الحديث عن مشايخهم بطرقهم المعنعنة إلى المعصومين(ع). وتتميَّز بعض هذه الطّرق بقلة الوسائط فيها، وهي ميزة يهتمّ لها البعض ويسعى إليها.

وإذا ما تأمَّلنا في طريق الشيخ ابن سعادة في رواية الحديث، نجده طريقًا مختصرًا يصل إلى الشيخ الطوسي عبر ثلاثة وسائط فقط، وفق ما يستفاد من بعض المصادر والإجازات التي كتبها علماؤنا الأبرار[4]، فابن سعادة يروي عن الشيخ الطوسي بالوسائط التالية:

1. عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن محمّد بن يحيى بن الفرج السوراوي.
2. عن الشيخ جمال الدين الحسين بن هبة الله بن رطبة السوراوي (المتوفى في رجب 579هـ).
3. عن المفيد الثاني الشيخ أبي علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة 515هـ).

عن والده الشَّيخ محمد بن الحسن الطوسي الملقب بشيخ الطائفة (المتوفى سنة 460هـ)، بطرقه الكثيرة المذكورة في فهرسته.

تلامذته

بخلت علينا المصادر فيما يتعلَّق بمشايخ الشيخ ابن سعادة البحراني وأساتذته، كما بخلت علينا كذلك فيما يتعلَّق بتلامذته، فلم نتعرف إلا إلى شخص واحد من تلامذته، وهو:

تلميذه - الشيخ علي بن سليمان الستري:

هو الشيخ جمال الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن يحيى بن محمّد بن قائد بن صباح الستراوي البحراني. كان من أعلام القرن السّابع الهجري، وكان عالماً فقيهاً ذا مشرب فلسفيّ. ذكره العلامة في إجازته لبني زهرة، فقال: «وهذا الشيخ كان عالماً بالعلوم العقلية والنقلية، عارفاً بقواعد الحكماء، له مصنّفات حسنة»[5]. ووصفه الخواجة نصير الدين الطوسي في صدر شرحه لـ «رسالة العلم»، فقال: «أرسلها وسأل عنها من كان أفضل زمانه وأوحد أقرانه، الذي نطق الحقّ على لسانه...». وهو يروي عن أستاذه الشيخ أحمد بن سعادة البحراني، ويروي عنه ابنه الشيخ حسين بن علي بن سليمان، والشيخ ميثم البحراني. له العديد من المصنّفات منها: «المنهج المستقيم على طريقة الحكيم»، و«إشارات الواصلين»، و«مفتاح الخير في شرح رسالة الطير» وغيرها، وهو الذي قام بإرسال كتاب أستاذه «رسالة العلم» إلى المحقق الطوسي، ليشرحها وفق ما سنشير إليه. توفي ودفن في البحرين في منطقة سكنه «سترة»، إلى جوار أستاذه ابن سعادة.

تنويه

لا بدَّ من أن نشير هنا إلى أنَّ الشيخ إبراهيم المبارك (المتوفى سنة 1399هـ)، حين تعرض لترجمة الشيخ أحمد

بن سعادة، ذكر أسماء مجموعة من العلماء زعم أنهم تتلمذوا عليه، فقال: «أبو السّعادات، وهو الشيخ أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة الستري الحكيم الفيلسوف، أستاذ الشيخ ميثم، والشيخ حسن الحلي، والخواجة نصير الدين الطوسي، والشّيخ علي بن سليمان الستري»[6].

ويلاحظ على ما ذكره:

أولا: المعروف أنَّ الشيخ ميثم تتلمذ على تلميذ ابن سعادة، أي الشيخ علي بن سليمان الستري، ولم تُشر المصادر إلى أنَّه تتلمذ على الشيخ ابن سعادة مباشرة[7].

ثانيا: لم نعرف بشكل جازم من هو المقصود بـ»الشيخ حسن الحلي» المذكور. ولعلَّ أبرز من عُرف بهذا الاسم آنذاك، هو الرجالي الشهير الحسن بن علي بن داود الحلي، صاحب الكتاب المعروف في الرجال. ورغم ذلك، فالأشهر التعبير عنه بـ»ابن داود الحلي»، ولم يُعهد تسميته بـ»الحسن الحلي»، إضافةً إلى أننا لم نجد في المصادر التي ترجمت له من ذكر اسمه ضمن من تتلمذ على ابن سعادة.

ثالثا: بالنسبة إلى الشيخ نصير الدين الطوسي أيضًا، لم نجد ما يشير إلى تتلمذه عند الشيخ ابن سعادة، ولو صح ذلك، لأشار إليه - ولو تلويحًا - ضمن مقدمة شرحه لرسالة العلم، حين أثنى عليه ثناء بالغاً في أوّلها.

رابعا: يظهر من بعض أبيات نصير الدين الطوسي التي كتبها في مقدمة شرحه لرسالة العلم، أنه لم يلتقِ الشيخ علي بن سليمان الستري (تلميذ ابن سعادة). ولهذا، كان يتمنى لقاءه. ومن المستبعد أن يكون زميله في الدرس، ولم يلتقيا، إلا إذا كانت فترة التتلمذ مختلفة بينهما.

كلّ ذلك يبعد احتمال صحّة ما ذكره الشيخ المبارك، فلم يظهر لنا وجود مصادر مهمّة اطّلع عليها، ولم تصل إلينا، فالأقرب أنه اعتمد في ذلك على ذاكرته التي ربما لم تسعفه هنا.

مؤلفاته

1. رسالة العلم:

أغلب المصادر لم تشر إلى شيء من مؤلفات الشيخ أحمد بن سعادة البحراني، سوى رسالة مختصرة في حقيقة العلم، وقد اشتهرت باسم «رسالة العلم»، وقد شرحها الخواجة نصير الدين الطوسي (المتوفى سنة 672هـ).

والمعروف أنَّ تلميذ ابن سعادة، أي الشيخ علي بن سليمان البحراني، أرسلها إلى نصير الدين الطوسي، وطلب منه شرحها، ولكن في بعض المصادر، نُسب أصل الكتاب إلى الشيخ ميثم[8]، وربما يستفاد من مصادر أخرى أن الشيخ ميثم البحراني هو الذي طلب من نصير الدين الطوسي شرحها[9]، وقال الشيخ علي البلادي: «أما شرح رسالة العلم التي ذكرها شيخنا الشيخ سليمان وغيره، ونسبه إلى المحقق الخواجة نصير الدين، فهو عندنا ساقط من أول خطبته قليل، إلا أنَّ أسلوب الخطبة والديباجة معين أن الشرح المزبور للشيخ الجليل الرباني الشيخ ميثم البحراني»، التمس منه الخواجة نصير الدين أن يشرحه، لا أنه للخواجة، ويحتمل أن يكون هذا شرحاً ثانياً للشيخ كمال الدين الشيخ ميثم، إلا أني لم أقف لأحد النسبة إليه، وإنما ينسبونه في جملة من الكتب والإجازات إلى الخواجة نصير الملة والدين»[10]. وأما المحدث البحراني، فقد ذكر أن الكتاب كان عنده ثم فقده في بعض الوقائع،

ونَسب متن الكتاب إلى الشيخ علي بن سليمان البحراني، وأشار إلى أن شرح المحقق الطوسي كان بالتماس الشيخ ميثم البحراني[11]، وقد يجد الباحث بعض الاختلافات الأخرى في المصادر، علمًا بأن نسخ هذا الكتاب متوفرة، وقد رآه جملة من الأعلام، ونقلوا عنه عدة مقاطع من ديباجته[12].

وقد عثرنا في ما مضى من الأيام على صورة من إحدى النسخ الخطية لهذا الكتاب[13]، وقارنّاها بما نقلته المصادر عن ديباجة هذا الكتاب، فوجدناه متطابقًا، وفيه تصريح بأن المتن للشيخ أحمد بن سعادة البحراني، وأن الشرح للخواجة نصير الدين الطوسي، ولكننا لم نجد في هذه النسخة تصريحًا باسم الشيخ علي بن سليمان البحراني، بل وجدنا تصريحًا باسم الشيخ ميثم البحراني، حيث جاء في الصفحة الثانية: «قال الإمام كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني بسم الله الرحمن الرحيم...»، إلى أن قال: «أما بعد، فإن الله سبحانه لما وفقني فيما مضى من الأيام، وألقى زمامي بيد الإمام الهمام، سيف الإسلام، علامة الأنام، لسان الحكماء والمتكلمين، جمال (المحقين) المحققين، كمال الملة والدين، أبي جعفر أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة، تلقاه بأكمل الوفادة...». ومع الأسف، فإنّا لم نظفر في هذه العجالة بنسخة خطية أخرى لنقارنها بهذه النسخة.

ويلاحظ على النّسخة أنَّ جميع المصادر التي نقلت عن هذه الديباجة، لم تشر إلى وجود اسم الشيخ ميثم فيها. والظاهر أنه من زيادات هذه النسخة، فجميع تلك المصادر التي اطلعت على النسخ الخطية، تؤكّد أنَّ هذه العبارة هي من عبارات الشيخ علي بن سليمان الستري، ولهذا، فالذي نطمئن إليه هو أن الشيخ علي بن سليمان الستري البحراني هو من أرسل الكتاب إلى نصير الدين الطوسي، وطلب منه شرحه، وربما كان هذا الإرسال بواسطة تلميذه الشيخ ميثم البحراني، الذي كان على علاقة وثيقة بالطوسي، وخصوصًا أن بعض العبائر تفيد بأن الشيخ علي بن سليمان الستري لم يلتقِ الشيخ نصير الدين الطوسي.

بقي أن نشير إلى أن الشيخ حسين النوري كانت لديه نسخة قديمة من الكتاب، وقد نقل بعض العبائر منها، وصرّح بأن النسخة التي عنده كانت بخط السيد حيدر بن علي الآملي(توفي بعد سنة 787هـ)، فهي نسخة قريبة من عصر التأليف.

2. رسالة في معنى القبض والبسط:

لم نجد من أشار إلى هذه الرسالة سوى الشيخ محمد علي العصفوري (المتوفى سنة 1365هـ) في تاريخه، فقد ذكر أن المتصوف العارف الشيخ جلال الدين الرومي (المتوفى سنة 672هـ)، أرسل إلى الشيخ أحمد بن سعادة البحراني يسأله عن القبض والبسط، فكتب ابن سعادة في جوابه كتابًا، وقد نقل العصفوري بعضًا مما جاء في الجواب، فمما نقله عنه أنه قال في الجواب: «القبض والبسط حالان شريفان لأهل المعرفة، إذ أقبضهم الحق أحشمهم عن تناول القوام والمباحات والأكل والشربِ والكلام، وإذا بسطهم ردّهم إلى هذه الاشياء، {وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}. ولهم فيهما تحقيقات ذوقية، قال قائلهم في حال العارف المنقبض والعارف المنبسط:

معارفُ الحق يحويها إذا انتشرت
ثلاثة بعدها الأرواح تختلس
وعارف بولاء التمليك معترفاً
يحثه الوجدُ ما ووِلي له الفلسُ
وعارفٌ غابَ عنه العُرف فاعتشقتْ
منه السرائر مطويّ لذي شرس
حتى استلان وعاد الوهب في مهل
فصار شيئان عنه النطق والخرس
أعانه الحقُّ عَمّا دُونَهُ فله
منهُ إليه سرارٌ وحيها خنسٌ»[14]

ورغم أنَّ العصفوري لم يذكر مصدره في النقل، فإنَّ الذي يبدو منه أنه اطّلع على الكتاب الذي كتبه ابن سعادة في الجواب، ولكن قد يلاحظ عليه أنَّ العبارة المنقولة في صدر الكلام تُنسب في جملة من المصادر إلى الخواجة نصير الدين الطوسي في تفسيره لمعنى القبض والبسط، ولعلَّه استفادها من ابن سعادة، ولكن لا مجال للجزم بشيء هنا، فالمسألة تحتاج إلى مزيد من التحقيق والتدقيق.

العلوم التي برع فيها

تُجمع المصادر على وصفه بالحكيم والفيلسوف، وهو ما قد يستفاد من كتابه «رسالة العلم»، حيث تدلّ على فضل كبير وعلم غزير، مضافًا إلى ما أشرنا إليه سابقًا نقلًا عن الشيخ محمد علي العصفوري، من أن الشيخ جلال الدين الرومي (المتوفى سنة 672هـ) أرسل إلى ابن سعادة يسأله عن القبض والبسط، فكتب في جوابه كتابًا، وهو ما يؤكّد نبوغه وفضله وشهرته في هذا الميدان، بحيث صار مقصدًا في تحقيق هذه المسائل التي تحتاج إلى النقض والإبرام، ولكنَّ هذا الأمر لا يعني بالضرورة أنه اختصّ بالعلوم العقلية، ولم يكن بارزًا أيضًا في العلوم الأخرى، كالفقه والحديث وغيرها من العلوم النقلية، فهذه الأوصاف كثيرًا ما تُلصق بالعالم نتيجة شهرة بعض مصنفاته وضمور البعض الآخر منها وخفائها، أو لبعض القرائن التي يلتفت إليها البعض ويُغفل القرائن الأخرى.

وبالنسبة إلى الشيخ ابن سعادة، يمكن الإشارة إلى ما ذكره الميرزا عبد الله الأفندي، حيث ذكر أنه رأى نسخة قديمة من كتاب «النهاية في مجرد الفقه والفتاوى»، لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة 460هـ)، وهو من أهم الموسوعات الفقهية القديمة، ورأى على النسخة بعض الفوائد الّتي دوّنها الشيخ ابن سعادة عن خط الشيخ راشد البحراني[15]، وهو ما يؤكد اهتمام ابن سعادة بالفقه وضلوعه فيه، مضافًا إلى اهتمامه بإجازة الرواية، على ما ذكرناه آنفاً.

ويمكن الإشارة هنا إلى توصيف الشيخ سليمان الماحوزي له بالفقيه، حيث قال عنه: «الشيخ الإمام المتكلم الفقيه أبو جعفر أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة»[16]، وهو وصف له مدلوله الواضح على التبحّر في علوم الفقه.

وفاته

لم تُشر المصادر القديمة إلى تاريخ وفاة ابن سعادة، ولكن الشيخ محمّد علي العصفوري (المتوفى سنة 1365هـ)، ذكر في كتابه «تاريخ البحرين»، المسمى بـ»الذخائر في جغرافيا البنادر»، أنّ الشيخ أحمد بن سعادة توفي سنة 555هـ[17]، ولم يذكر مصدراً لهذا التاريخ، ولا يوجد - فيما رأيته من المصادر - لهذا التاريخ عين ولا أثر، ولا إشكال في أنّ هذا التاريخ خطأ، وذلك لعدة أمور:

الأوّل: إنّ الشيخ أحمد يروي عن الشيخ يحيى بن محمّد السوراوي الَّذي كان حياً سنة 620هـ فهو إذًا من طبقة المحقق الحلّي (توفي 676هـ)، ووالد العلامة (توفي حدود 665هـ)، وأحمد بن طاووس (توفي 673هـ)، الذين يروون عن الشيخ يحيى بن محمّد السوراوي.

الثاني: إنّ تلميذ الشيخ أحمد - أي الشيخ علي بن سليمان - كان معاصراً للمحقّق الطوسي، وقد أرسل إليه كتاب أستاذه ليشرحه له، كما أنّ الكثير ممّن ترجم لابن سعادة - ومنهم العصفوري نفسه[18]- ذكروا أنّه عاصر المحقق الخواجة نصير الدين الطوسي، ولكنّه توفي قبله. والمعروف أنّ المحقق الطوسي ولد سنة 597هـ وتوفي سنة 672هـ.

الثالث: أنَّ المستفاد من بعض المصادر أنَّ وفاة الشيخ أحمد بن سعادة حصلت بعد وفاة الشيخ راشد البحراني (المتوفى سنة 605هـ)، فقد نقل الميرزا عبد الله الأفندي (توفي حوالى سنة 1135هـ) أنه في زيارته البحرين، رأى نسخة خطية قديمة من كتاب «النهاية» للشيخ الطوسي، وعليها العديد من الحواشي والفوائد، قال: «ثمّ في أول بعض مسائل ظهر النسخة هكذا: فمما وجدت بخط الشيخ الإمام كمال الدين أبي جعفر أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة البحراني - تغمّده الله برحمته - وهو مما وجده بخط الشيخ الإمام ناصر الدين أبي إبراهيم راشد بن إبراهيم بن إسحاق بن محمد البحراني على أول كتاب «النهاية»، الذي له – تغمده الله برحمت ه- ما هذا حكايته...»[19].

ومن جميع ذلك، نستخلص أنّ المترجم توفي في حدود منتصف القرن السابع الهجري (أي حدود سنة 650هـ) أو قبل ذلك بقليل (حوالى سنة 1252م)، فما ذكره الشيخ العصفوري في تاريخه هو ممّا لا يمكن قبوله على أي حال.

مدفنه

لا شكّ في أنه مدفون في جزيرة سترة، كما صرح بذلك كثير ممن ترجم لعلماء البحرين، ومنهم الشيخ سليمان الماحوزي[20]، والمحدث الشيخ يوسف البحراني[21]، والشيخ علي البلادي[22]، والشيخ محمد علي العصفوري[23].

وقال الشيخ إبراهيم المبارك (توفي سنة 1399هـ) عند تعرضه للمزارات في البحرين: «(أبو السعادات)، وهو الشيخ أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة الستري الحكيم الفيلسوف، أستاذ الشيخ ميثم، والشيخ حسن الحلي، والخواجة نصير الدين الطوسي، والشيخ علي بن سليمان الستري، قريباً من المسجد المسمى مسجد سلطان، وعليه قبة. وفي الأيام القريبة، جدّدت بنايته وموقعه شمالاً عن الخارجية من سترة»[24].

وهو، كما ذكر الشيخ المبارك، مدفون مع تلميذه الشيخ علي بن سليمان الستري، ومعهما قبر الشيخ حسين بن علي بن سليمان الستري، وقبورهم معروفة ومشهورة في مقبرة السلطان في جزيرة سترة. ومما يؤسف له أن عناية الناس بزيارتهم قليلة لا تتناسب ومقامهم الشامخ ومنزلتهم العلمية.

الوضع السياسيّ في عصره

منذ القرن أواخر القرن الثالث، وحتى أواسط القرن الخامس، كانت البحرين تحت سيطرة القرامطة الذين

عاثوا فسادًا في الأرض، وأذاقوا أهل البحرين أنواع البلايا، إلى أن ثاروا عليهم واقتلعوهم، وأزالوا ملكهم، وأنهوا بذلك حقبة سيئة من تاريخ المنطقة. ثم بعد ذلك، ومنذ العام 467هـ وعلى مدى ما يقارب القرنين من الزمن، كان إقليم البحرين بحواضره الثلاث (الإحساء والقطيف وأوال)، خاضعًا لسلطة الحكام العيونيين الذين يرجعون في نسبهم إلى قبيلة عبدالقيس العدنانية. وكحال أهل البحرين آنذاك، عُرف العيونيون بولائهم إلى أهل البيت، ولا زالت العملات المعدنية خلال تلك الحقبة شاهدة على تشيعهم، حيث زينت تلك العملات بعبائر «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله»[25]، ويؤكّد ذلك ما ورد في عبائر الرحالة والجغرافيين في تلك الأعصار، حيث أكّدوا تشيع أهل البحرين، فمن ذلك ما ذكره ياقوت الحموي متحدثًا عن عمان: «وأكثر أهلها في أيامنا خوارج إباضية، ليس بها من غير هذا المذهب إلا طارئ غريب، وهم لا يخفون ذلك، وأهل البحرين بالقرب منهم بضدهم كلّهم روافض، لا يكتمونه ولا يتحاشون، وليس عندهم من يخالف هذا المذهب، إلا أن يكون غريبًا»[26].

كما يؤيده ما ورد في شعر علي ابن المقرب العيوني (المتوفى سنة 629هـ)، الذي ينتمي إلى هذه الأسرة العيونية الحاكمة، من أبيات في أهل البيت.

فبعد سقوط دولة القرامطة التي حاربت الدين بضراوة وفتكت بالمتدينين، بدأ أهل البحرين يتنفسون الصعداء. وفي ظل قيام الدولة العيونية واستقرارها، بدأ البعض بالهجرة إلى الحواضر العلمية في العراق من أجل طلب العلم ورواية الحديث، فبدأ العلم يزدهر في حواضر البحرين، وبدأ العلماء من أهالي المنطقة في تصنيف الكتب دونما خوف أو تهديد. ولعلَّ أول كتاب يصلنا هو كتاب «مختصر أحوال المعصومين»[27] للشيخ راشد بن إبراهيم بن إسحاق البحراني (المتوفى سنة 605 للهجرة)، الذي عاصر الشيخ أحمد بن سعادة شطرًا من حياته.

بعض ما قيل في حقّه وحقّ كتابه

سنكتفي هنا بالإشارة إلى ثلاث عبائر، الأولى والثانية هما ما أورده الخواجة نصير الدين الطوسي (توفي سنة 672هـ)، والشيخ علي بن سليمان الستري (تلميذ ابن سعادة)، في مقدمة «شرح رسالة العلم». أما الثالثة، فهي عبارة للشيخ سليمان الماحوزي:

1. قال تلميذه الشيخ علي بن سليمان الستري: «إنَّ الله سبحانه لما وفقني فيما مضى من الأيام، وأُلقي زمامي بيد المولى الإمام الهمام، سيف الإسلام، علامة الأنام، لسان الحكماء والمتكلمين، جمال المحقين والمحققين، كمال الملة والدين، أبي جعفر أحمد بن سعيد بن سعادة، تلقاه الله بأكمل الوفادة،

وتولاه بأفضل الزيادة، وبلغه من منازل عليين أعلى مراتب المقربين، أشار من جملة المباحث الشريفة الإلهية، والمسالك اللطيفة القدسية، إلى إيراد هذه المسألة: مسألة العلم على الإطلاق، وذكر فيها ما يتعلق بالخلاف والوفاق من المتقدمين والمتأخرين، من الحكماء والمتكلمين، فانشعب منها، كما ترى، تفاريع جليلة ومسائل نبيلة، يطّلع المتأمل فيها على جواهر مكنونة، ويصل المتفكّر منها إلى لطائف مخزونة، لا يَكشف عنها الحجاب إلا الأفراد من أولي الألباب، ولا يَرفع عنها الجلباب إلا من أيد بروح الصواب، وكان (قدس الله روحه ونور ضريحه) قد أشار إلى تلك التفاريع مجملة، وعدّها أربعًا وعشرين مسألة، تجري في سنن الحساب مجرى الفهرست من الكتاب، فعاقه عن كشف قناعها عوائق الحدثان، حتى درج إلى رحمة الرحمن، وعرج إلى ساحة الرضوان...»[28].

2. وقال الخواجة نصير الدين الطوسي: «بسم الله الرحمن الرحيم

أتاني كتاب في البلاغة منته
إلى غاية ليست تقارب بالوصف
فمنظومه كالدّر جاد نظامه
ومنثوره مثل الدّراري في اللطف
دقيق المعاني في جزالة لفظه
تحير في ضمّ الغموض إلى الكشف
كغانية حار العقول بحسنها
تُمرِّض عيناها وملثمها يشفي
أتى عن كبير ذي فضائل جمّة
عليم بما يبدي الحكيم وما يخفي
فأصبحتُ مشتاقًا إليه مشاهدا
بقلبي محيّاه وإن غاب عن طرفي
رجا الطرفُ أيضًا كالفؤاد لقاءه
وإن لا يوافي قبل إدراكه حتفي
قرأتُ من العنوانِ حين فتحته
وقبلت تقبيلًا يزيد على الألف
ولما بدا لي ذكركم في مسامعي
تعشقكم قلبي ولم يركم طرفي
فصادفت هذا البيت في شرح قصتي
وإيضاح ما عانيته جملة يكفي

وردت رسالة شريفة ومقالة لطيفة، مشحونة بفرائد الفوائد، مشتملة على صحائف اللطائف، مستجمعة لعرائس النفائس، مملوءة من زواهر الجواهر، من الجناب الكريم السيدي السندي العالِمي العاملي الفاضلي المفضلي المحققي المدقفي الجمالي الكمالي[29]، أدام الله جماله وحرس الله كماله، إلى الداعي الضعيف المجرم اللهيف محمد الطوسي، فاقتبس من سرار ناره نكت

الزبور، وآنس من جانب طوره أثر النور، فوجدها بكرًا حملت حرّة كريمة، وصادفها صدفًا تضمنت درّة يتيمة، هي أوراق مشتملة على رسائل في ضمنها مسائل، أرسلها وسأل عنها من كان أفضل زمانه وأوحد أقرانه، الذي نطق الحقُّ على لسانهِ ولوح الحقيقة من بيانه ورأيت المولى أدام الله فضائله، قد سألني الكلام فيها وكشف القناع عن مطاويها، وأين أنا من المبارزة مع فرسان الكلام والمعارضة مع البدر التمام، وكيف يصل الأعرج إلى قلة الجبل المنيع، وأنى يدرك الظالع شأو الضليع، لكن لحرصي على طلب التوصل الروحاني إليه بإجابة سؤاله، وشغفي بنيل التوسل الحقيقي لديه لإيراد الجواب عن مقاله، اجترأت فامتثلتُ أمره واشتغلت بمرسومه، فإن كان موافقًا لما أراد فقد أدركت طلبتي، والا فليعذرني إذ قد قدمت معذرتي، والله المستعان وعليه التكلان»[30].

3- وقال الشيخ سليمان الماحوزي (المتوفى سنة 1121هـ) في كتابه «جواهر البحرين» عند ترجمته لابن سعادة ما نصه: «الشيخ الإمام المتكلم الفقيه أبو جعفر أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة روّح الله روحه ووالى فتوحه، فضله أشهر من ضوء الصباح، وصيته أيسر في الآفاق من الرياح، ولو لم يكن من المدائح والمفاخر إلا تلمّذ الإمام العلامة الطاهر المتمكّن على سرير المعالي لافتراع أبكار المعاني، الحكيم المحقق، جمال الدين علي بن سليمان البحراني لكفاه برهانًا على جلالة قدره، ودليلًا على كمال بدره...»[31].

الشيخ فاضل الزاكي: رجل دين وباحث تاريخي، شغل منصب امين سر المجلس العلمائي في 2008 ثم رئيس اللجنة الشرعية. صدر له كتاب واقعة الحرة وتلامذة الشيخ حسين العصفور. وعمل على تحقيق عدة مخطوطات ابرزها فهرست علماء البحرين للشيخ سليمان الماحوزي. وكتاب رسالة في تحليل التتن والقهوة
للتواصل عبر الإيميل: fadhelfadhel@hotmail.com

المصادر والمراجع:

1. انظر المصادر التالية: كتاب «العين» للخليل الفراهيدي، 3: 221. «الصحاح» للجواهري 2: 585. «لسان العرب» 2: 42، مجمع البحرين 1:157. معجم مقاييس اللغة 1: 203. شرح شافية ابن الحاجب 2: 82. الوافي بالوفيات للصفدي 1: 44. معجم البلدان 2: 263.
2. انظر: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق 1: 379، ومعجم البلدان 1: 347.
3. بحار الأنوار 104: 223 (ضمن إجازة البياضي للشيخ ناصر البويهي).
4. عوالي اللئالي 1: 12.
5. بحار الأنوار 104: 65.
6. حاضر البحرين: 54.
7. نعم، ورد في إحدى النسخ الخطية من كتاب «شرح رسالة العلم» النقل عن الشيخ ميثم البحراني بتعبير يفيد بتتلمذه على الشيخ ابن سعادة، ولكن سيأتي أنّ هذا التعبير تفردت به تلك النسخة الخطية، في حين أن بقية النسخ الأخرى تؤكد أنّ هذا الكلام ليس من الشيخ ميثم، بل من أستاذه الشيخ علي بن سليمان الستري.
8. انظر أمل الآمل 2: 299 و 332 ، وانظر: كشف الحجب والأستار: 335.
9. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، 12: 28.
10. أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والإحساء والبحرين: 61.
11. لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين: 264.
12. انظر: الكنى والألقاب 2: 595. وخاتمة المستدرك 2: 412. والذريعة 13: 287. وأعيان الشيعة 3: 43، وجواهر البحرين للماحوزي: 92.

13. أخذت صورة من هذا الكتاب من مكتبة مركز إحياء التراث الإسلامي، الذي يرأسه السيد أحمد الحسيني في مدينة قم، وهو في قسم النسخ المصورة، ورقم النسخة 16/ 888.

14. تاريخ البحرين، الترجمة 79.
كذا وردت الأبيات في المصدر، ولكن بعض الألفاظ مصحفة، وتحتاج إلى ضبط ليستقيم الوزن والمعنى، كما لا يخفى.

15. الفوائد الطريفة: 561. وسننقل نص عبارة الميرزا الأفندي في الأسطر القادمة، إن شاء الله.

16. جواهر البحرين: 92، وهو مطبوع ضمن كتاب فهرست آل بابويه وعلماء البحرين.

17. الترجمة رقم (85).

18. توجد للشيخ أحمد بن سعادة ترجمتان في كتاب «تاريخ البحرين» للعصفوري، الأولى تحت الرقم (79)، والثانية تحت رقم (85)، وقد نصَّ في الترجمة الأولى على معاصرة الشيخ أحمد بن سعادة للخواجة نصير الدين الطوسي.

19. الفوائد الطريفة: 561.

20. نقله عنه الشيخ علي البلادي في «أنوار البدرين»: 60.

21. لؤلؤة البحرين: 264، ضمن ترجمة الشيخ حسين بن علي بن سليمان الستري.

22. أنوار البدرين: 61.

23. ذكر في الترجمة 84، عند تعرضه لمكان دفن الشيخ علي بن سليمان الستري.

24. حاضر البحرين: 54، وفي ما ذكره بعض الملاحظات نبهنا إليها فيما سبق.

25. أنظر كتاب: نقود الدولة العيونية في بلاد البحرين، لمؤلفه: نايف بن عبد الله الشرعان.

26. معجم البلدان 4: 150.

27. الذريعة 20: 173.

28. انظر المصادر التالية: خاتمة مستدرك وسائل الشيعة 2: 412 – 413. الكنى والألقاب 3: 122 123-. أعيان الشيعة 3: 43.

29. يقصد به الشيخ علي بن سليمان تلميذ ابن سعادة، وهو الذي أرسل الكتاب إلى الطوسي ليشرحه.

30. المصادر الثلاثة السابقة نفسها.

31. انظر: جواهر البحرين: 92، وهو مطبوع ضمن كتاب فهرست آل بابويه وعلماء البحرين. جواهر البحرين: 125، وهو مطبوع ضمن كتاب الفوائد الطريفة.

تعليم الصَّلاة في قريتي!

عباس مزعل

لم أستقرّ أبدًا على عنوان لهذا المقال، وربما عنونته أخيرًا اعتباطًا، كما يقولون، وإن كان عنوان «البحث عن الهوية» أدقّ، فالصّلاة هوية المؤمن وعنوانه ـ كما ينظّر الدين ـ لمعرفة قبول أعماله أو خسرانه دنياه قبل آخرته، وربما كان الشيخ علي رحمه الله يصبّ اهتمامه على هذا الهدف، ويرنو إلى ذلك المرمى بأطراف عينيه!

كان الأمر في القرية قبل قدوم الشيخ ـ كما هو الحال في القرى الأخرى ـ يقتصر على تعليم الكبار لأبنائهم في البيوت، وربما توارثوا طريقة التعليم عن بعض أجلاء العلم حين عرفت تلك البلاد العلماء والمتعلمين، فإذا عَطّلت بعض الأحداث تلك العلوم، بقي أثر التعلم والتعليم في القرى البحرانية مزدهرًا رغم المحن والنوائب. ولا غرو فقد قدّس أهلها العمامة، وأحاطوها بقداسة لم تعرف في غيرها، وربما حفظوا ـ لذلك ـ ما أسبغتهم عليه في غابرها من التعاليم الدينية والتوصيات الدنيوية، وأثر الحِسبة والمُحاسبه في عهد أساطين العلم والفقهاء.

عصفور الشرق

رأى ذلك «العصفور» نفسه في التبليغ، كما رأى بعيد الناقد أنّ الناس أخذتهم الدنيا عن التمسك بما قَدّ الأجداد فيه معاولهم ونحتوه في صدور مجتمعهم، فترك عمله في شركة «النفط»، ورحل إلى النجف ليكمل ما سعى أجداده وأقرانه من العصافرة إلى تحصيله، ولم تلهه دراسته، رغم ذلك، عن هدفه الأسمى ومحاولة وضع منهجية التبليغ تلك.

ولعلّ أوّل مهمّة واجهها، ووجب التصدّي لها ـ كما اعتقد ـ وشحذ المعاول لأجلها، هي تقويم عمود الدين وترسيخه في نفوس الأبناء، فإذا ملكته أفئدتهم، وشخصت أبصارهم أمامه في حياتهم اليومية، تربوا على قويم الأعمال وصالحها، فكان أن افتتح في بيت أبيه مدرسة لتعليم الصلاة، ندب إليها بعض أقربائه، وباشر العمل بها في عُطلِهِ توجيهًا

وإشرافًا. وربما كان تحصيله العلمي ونشاطه التبليغي في بلدان أخرى، هو ما جعله يعتمد أيما اعتماد عليهم، ويقرّهم فيما نهجوه من التعليم، وإن كانت بصماته التوجيهيّة تُطبع فيها بين فترة وأخرى، وبخاصة حين ينزل إلى محتده وأرض سكنى أجداده.

استقرار وتفرّغ

وعلى كلّ حال، فقد أرغمته لعنة السياسة وأحداثها على أن يلقي عصا تسياره أخيرًا في بلده، وأجبرته على التفرغ لمباشرة أحلامه التبليغية، والإشراف مباشرةً على تنفيذها. كان ذلك في بداية السبعينات من القرن الماضي، إذ وسّع نشاطه التبليغي في القرية، فاجتمع مع بعض المثقّفين وقسّم العمل بينهم، ووزع مراكز تعليم الصلاة في مساجد القرية، لئلا يأخذ بعضهم البعد ذريعة يتكاسل بسببها عن التعليم.

كان الدرس في المسجد ـ كما رسمه الشيخ رحمه الله ـ يبدأ بتعليم الصلاة ثم بعض الأناشيد الدينية والأحاديث، طوال أيام الأسبوع. واللافت أنَّ تلك الدعوة لاقت إقبالًا غريبًا من الأهالي، ربما لحاجة الكبار إلى من يحمل عنهم عبئاً لم تكن حياة الشّظف تساعدهم على تحمّل وزره، فكان شعاع الشّيخ بصيصًا لهم، بل إنَّ تلك الدعوة استقطبت بعض كبار السّنّ، ممن رأى في صلاته بعض الاعوجاج، فخصّص لهم الشيخ أوقات محددة، ليبعد عنه الحرج والتحرّج.

قرّر الشيخ ـ كما أسلفنا ـ أن يكون تعليم الصلاة مستمرًا طوال ليالي الأسبوع، حتى يعتادها الأبناء، فلا راحة ولا إجازة شرعها عزّ وجلّ عنها، وحتى يتعلّم النشء الالتزام بتعاليم الله، ويتقيّد بأوامره جلّ وعلا. كان التعليم يبدأ

تكريم أحد طلبة المسجد المتفوقين بمأتم فاطمة الزهراء

معبد الهندوس في العاصمة المنامة وهم جالية تسكن في المنامة والبحرين وفيهم تجار وعمال

من الميضأة، حيث يتجمع الطلاب مع أستاذهم ليشرف على طريقة الوضوء الصحيح، ويرشدهم إلى أخطائهم، ويصوّب أغلاطهم فيه، ليتّجهوا بعد ذلك إلى تعلّم الصلاة عن طريق ترديدها جماعة، وينتهي يومهم التعليمي بحفظ حديث جديد وتدبّر معناه.

كان الشَّيخ قد خصّص مكافأة مالية قدرها دينار واحد ـ يتبرع بها أحد الوجهاء ـ لمن يحفظ الصلاة، وأخرى لمن يحفظ أربعين حديثًا، وزاد أن جعل ليلة الإثنين موعدًا يتجمع فيه المشاركون في جميع مراكز التعليم في القرية في مكان واحد، لتناول وجبة عشاء يقدمها الشيخ تشجيعًا وتحفيزًا، وهي عبارة عن قرص من الخبز وبرتقال توزع عليهم. يخرج لتلك الوليمة طوابير الطلاب وهم يهزجون بالأحاديث النبوية وأئمة أهل البيت، فتضج بهم القرية وتشنف آذانهم. وربما انتظر بعض الآباء ذلك اليوم قبل الأبناء ليسدوا به بعض الرمق.

ولم ينسَ الشيخ النساء من التعليم، فكان يجمعهنّ عصر كلّ يوم في مكان واحد، ويطلب من بناته تدريسهن، وأخذ على عاتقه ـ إضافة إلى ذلك ـ أن يقبع داخل سيارته في الهاجرة مادًّا أسلاك «ميكرفونه» إلى داخل المسجد، يلقي عليهنّ محاضراته، ويعلمهنّ أمور دينهنّ ودنياهنّ، وقد كانت أغلب شريحة المعلمات من المتزوجات.

نهاية وبداية

امتدّ نشاط الشيخ إلى القرى المجاورة، وأرسل أبناءه لينهجوا ما بدأه في قريته، ويمدّوا أطناب ذلك الواجب الشرعي في مساجدهم وبيوت مخدراتهم، ولكنّ لعنة السياسة برزت كحباب لم يغفل الشيخ عن مزجها في دعواه بين الفينة والفينة، إلى أن تأجّج الوضع في نهاية السبعينات في المنطقة، واغتيل أحد المراجع في بداية الثمانينات، فتفاقم الأمر وناله من شظاه ما آلمه، واضطره إلى مغادرة البلاد، ووأد مشروعه التبليغي حتى كاده.

بعدها، ساد القرية هدوء. وسنوات قليلة لم تتعدَّ أو تتجاوز منتصف العقد، حتى أشعل أحد أبنائه تلك الجذوة، واقترح مع بعض زملائه إكمال ما بدأه الراحل وتقريره. هو جيل ثان إذًا! لم يهن ولم يجعل تلك السياسة اللعينة عَرُوضًا ضد مطامح الدعوة ومقاصد التبليغ، ولكن كانت ثمة مشكلة في إيجاد مقرّ لبدء ما تمّ تقريره والاتفاق عليه، ولا سيّما أن تلك الأحداث أوصدت أبواب المساجد دونهم، بل وأدت إلى طردهم منها! ولكن سرعان ما شرّع قيّم مسجد الشيخ علي؛ من آباء ذلك الجيل، أبوابه لهم، واشترط عليهم أن لا يتعارض تعليمهم مع أوقات الصلاة والمحافظة على نظافته وسلامة مرافقه.

تقرير وتطوير

لم يختلف التعليم في الجيل الثاني عن سابقه في طريقة التعليم، وإن أصبح أكثر حرفيةً، كما يعبّر، وأكثر تنظيماً من سابقه، فقد تقررت الدروس طوال أيام الأسبوع هاجرة كلّ يوم. لم توقفها مناسبة، ولم يعطلها عيد أو تعزية، فالصَّلاة عمود يجب أن يتحمل الإنسان من أجله شمسًا حارقة، ومناسبة يتشوق الطفل الصغير لمقارعة الكبار في إحيائها. وزيد على تلك الدروس برامج تطوّعَ الأساتذة لتنفيذها بعد كل صلاة، فهناك مقاطع دعاء وأحاديث، وحصة للنشيد وأخرى للقرآن، ثم درْس المرحوم الأستاذ جاسم في الأخلاق، وهو ما لا أنساه. أما الحَفَظَة، فقد أنيطت بهم مهمة الإشراف على التعليم، ثم جلوسهم للاستماع إلى دروس الفقه والنحو التي يقدّمها أحد الأساتذة. وزيد على ذلك أن حُصرت الأسماء وقيّدت في دفاتر للحضور للمحاسبة على التأخير والغياب، وسرى مبدأ الثواب على الناجحين، والعقاب على المتكاسلين عن الحضور.

يبقى استقطاب شريحة أكبر من القرية، ولا سيما من تاخمها وتعذّر بالبعد عن حضور دروس التعليم، وهي مشكلة قديمة حديثة، عالجها بعض الأساتذة حين افتتحوا مسجد «الضامن» وشرعوا ـ في استقلالية عن مسجد الشيخ علي ـ في تنفيذ دروس الصَّلاة. وأظنّ أنّ تلك الجذوة زادت اتقادًا، وخبت نظيرتها القديمة في مسجد الشيخ «علي» حين قرر هدم المسجد والانتقال إلى مسجد الشيخ «أحمد»، فحصل نفور وتنافر بين بعض الأساتذة، ناهيك ببعض الوشائج من مخلّفات التسايس في غابر العهود، فاعجب!

بداية المطاف

لا أطلق عليه جيلًا. هو امتداد لما سلفه. هما أستاذان أخذا على عاتقهما أعباء من سبقهما، وتحمّلا أوزار من عهد إليهما بتلك الأمانة، وأظنهما بلغا المدى، حتى يرسو الطلاب إلى برٍّ كان محطّ بصر الشيخ رحمه الله، بل أسَّسا لمن خلفهما، ووطّدا له الدعائم!

بدأت الحكاية حين نقل الأستاذ «محمد» تعليم الصلاة

في تخوم القرية من بيت جده إلى مسجد «الضامن»، كما اقترح عليه أحد الأساتذة من جيل الشيخ، لينضمّ إليه بعض المثّقفين، كالأستاذ «رضي» والأستاذ «محمد حسن». ومع تزايد العدد وضيق المسجد، قرر الأستاذ «رضي» أن يأخذ قسمًا منهم إلى مسجد الشيخ «أحمد»، الذي كان عمه قيّمًا عليه، فذلّل له الصعاب، وربما زاد العبء على الأستاذ حين تم هدم مسجد «الشيخ علي» ـ كما أسلفنا ـ وانتقل طلابه إلى مسجد الشيخ «أحمد»، دون جلّ طاقمه التعليمي! أما السبب، فهو أضغاث النفوس وميل الحوباء، والأدهى أن ينتقل الطلاب بعد فتح المسجد مجددًا دون البقية الباقية من طاقم التعليم السابق، ما جعل الأستاذ «رضي» يدور في فلكين، ويقسم الطلاب إلى فريقين؛ فريق تعليم الصّلاة وتحفيظها في مسجد «الشيخ علي»، وفريق لحلقات دروس الفقه في مسجد «الشيخ أحمد». ولكن المضايقات والمشاحنات أخذت تطفو على السطح، وقد شهدت الكثير منها، أذكر في إحداها معركة بالأيدي بين الأستاذ وأحدهم، وأذكر أنني وقفت مذهولًا في ذاك اليوم، وكُلٌ يمسك بتلابيب الآخر والأستاذ يخاطبه: «وهل أجعلك تهدم ما بنيناه؟». كانت ذكرى لا أنساها. وعلى أثر تلك المضايقات، انتقل التعليم إلى مسجد «الشيخ أحمد»، وانتقلت الدروس إلى مسجد «الشيخ علي»، ثم استقرّ الأمر كلّه في مسجد واحد، هو «الشيخ أحمد».

لا يختلف مسجد «الضامن» عن مسجد «الشيخ أحمد» في طريقة تدريسه ومناهج التعليم فيه، بل إنّ الاتفاق بين الأستاذين خلق نوعًا من أنواع الدمج والتعاون لم نغفله نحن الطلاب، وإن تغافلناه أو حاولنا تغافله حين يلوّح الأستاذ «محمد» بعصاه في باحة المسجد.

دائرة اجتماعية

عمل عظيم ذلك الذي قام به الأستاذان. وسأقتصر هنا على الأستاذ «رضي» وعمله في مسجد الشيخ أحمد. وليعمّمه القارئ على المسجد الآخر، لأني عاصرت ذلك الزمن وتلك الحقبة.

وكما سطّرنا، فبعد انقطاع الشيخ وخروجه، وقف النّشاط الدّينيّ في القرية، ولم يكن هناك عمل للطلاب بعد المدرسة إلا بعض اللهو أو مساعدة آبائهم في البحر أو النخيل، وقد توخى الأستاذان أن يرتبط الطالب بالمسجد، ويملأ وقته به، ويمارس تعاليمه في حياته اليومية وعلاقاته الاجتماعية، فكان أن أقر مبدأ التعليم المستمر طوال أيام العام دون عطله، وترسيخ ذلك في وجدانه، وزيد أن جرى تكوين مجموعات يتولى كلّ حافظ للصّلاة إحداها، ليدرّب الطلاب على مقاطع الصلاة اليومية، ولم يترك الحفظة دون مراجعةٍ صيف كلّ عام. وكانت الفكرة أن يتعهّد الطالبَ ويراجعه في الصّلاة إلى أن يبلغ سنّ البلوغ، وبعدها يكون مسؤولًا عن نفسه. ولم يقتصر الأمر على الصلاة فقط، فقد دخل الأستاذ اجتماعيًا في حياة الطلاب، فاتبع نظام الرحلات الترفيهيَّة وتنظيمها في الصيف خاصّة، وزيارة المعالم الأخرى، كالمساجد، بقية العام. كما وطَّد العلاقات معهم حين كرّم المتفوقين منهم واحتضنهم، وواظب على القيام بزيارات خاصّة للمرضى ومؤازرتهم.

ومن بين الأمور التي تولى القيام بها:

- تقديم مساعدات مالية للفقراء منهم، بعد حصر عددهم، والجلوس معهم لوحدهم، ومعرفة

ظروفهم الاجتماعية.

- تنظيم الاحتفالات الدينيّة في المسجد.
- تقديم جوائز للمواظبين على الحضور.
- ضبط الحضور والانصراف. وأظنه دَفَعَ بالغلاظ الشداد لتنفيذ تلك المهمّة على أكمل وجه، حتى بالغوا في ذلك، وأظنّ أنّ الذاكرة لا تخونني وأنا أتذكّر بعضهم في هاجرة صيفٍ، يقفون حفاةً في ساحة المسجد، أو تسقط عصا غليظة على أحدهم غاب أو تغايب تكاسلًا وتهاونًا، أو حتى قام بفعل شنيع خارج المسجد، وقد يكون هذا «الشنيع» من المكروهات فقط!
- استغلال العطلة الصيفية في تنظيم دروس تعليميّة للأساسيات المدرسيّة، كالحروف الأبجديّة والأرقام، قبل تأسيس الروضات ومعاهد التعليم.
- دعم الآباء ماديًا ومعنويًا.

وقد دخل الأستاذ بكلّ ذلك إلى حياة الطلاب. كنا بعد الصَّلاة نردّد الأناشيد التي تعلَّمناها في ذلك اليوم، ونهزج بالأحاديث النبوية التي حفظناها، ولم نكن ندع حصاةً أو حجرًا في الطريق إلا أزحناه، ونحن نردّد الحديث الشريف: «من رفع حجرًا عن الطريق، كتبت له حسنة»، طمعًا بالحصول على حسنة مقابل إزاحة الحجر، وكنا نزجر من يكذب مازحًا بالحديث الكريم!

كان المسجد أداة التواصل الاجتماعيّ الّتي تربّينا عليها، وكوّنا فيها تفكيرنا وصِلاتنا مع أقراننا، وكان الخوف من الله الذي رسّخه في نفوسنا، هو الذي وقانا الكثير من شرور النفس ووسوساتها، وربما كان لتفرغ الأستاذ للمشروع التعليمي واحتضان طلابه، أثر كبير في ترسيخها فينا.

أما اليوم، فقد جرفت الحياة تلك الدروس إلى أيام قليلة، يخطف فيها من تعلّموا تحت منظومة الأستاذ بعض أوقات الطلاب، ويحاولون أن يدفعوا بمشاغل الحياة بعيدًا عنهم، ليكملوا تلك المسيرة الّتي تقاعد عنها الأستاذان بعد أن كادهما الدهر ولم يكيداه.

عباس مزعل: باحث من البحرين، يعمل في مجال تحقيق المخطوطات وتوثيق التراث البحريني، وقد أصدر ثلاث مخطوطات محققة

للتواصل عبر الإيميل: abbaswise@gmail.com

الوثائق الأحسائيّة ذاكرة حيّة لعصور مضت

احمد عبد الهادي صالح

في الذاكرة العثمانيّة للأحساء، نصيب من الوثائق الَّتي تصف أحوال الإنسان والمكان في تلك الحقبة، وتكشف موضوعاتها ولغتها طبيعة التّعاملات والمكاتبات الَّتي يعتمدها سكان هذه المنطقة المشهورة بالزراعة، وتحمل الكثير من الوقائع.

تصديق وثائق المبايعة

ومن هذه الوثائق، وثائق المبايعة. ولأنَّ الأحساء منطقة حضرية تقع تحت حكم إداري، كانت تحظى بمحكمة قانونية أثناء قيام الدولة العثمانية أو بدايات الدولة السعودية الحالية، إلا أنَّ الملاحظ هو تحرير الوثائق خارج حدود المحكمة وأسوارها، عند من يرتضيه الطرفان؛ المشتري ومن بيده وثيقة المبايعة.

البعض منهم يتوجه بالوثيقة إلى القاضي للتصديق عليها وختمها، ويدوّن الأخير تصديقه - عادةً - وما يشاء، في الهامش العلوي للوثيقة، كاتباً: «ثبت ما ذكر بشهادة من ذكر، فحكمت بصحّته...». ويكتب تاريخ التحرير مع ختمه على الوثيقة.

ويكتفي الآخرون، وهم الأكثرية، بالعقد وشهادة الشهود وإمضاء أحد أبرز علماء المنطقة، دون التوجّه إلى المحاكم، تحاشيًا لدفع مبلغ مالي مقابل التصديق على الوثيقة عند الدولة العثمانية، الأمر الذي يؤثر في اقتصاد المشتري، بسبب ضعف الدخل المادي في ذلك الوقت. ومن يتوجّه منهم إلى المحكمة لتسجيل المبايعة والتصديق، قد يكون غير مطمئن إلى البائع، أو تساوره الشكوك حياله، فيختار المحكمة ليقطع شكّه باليقين.

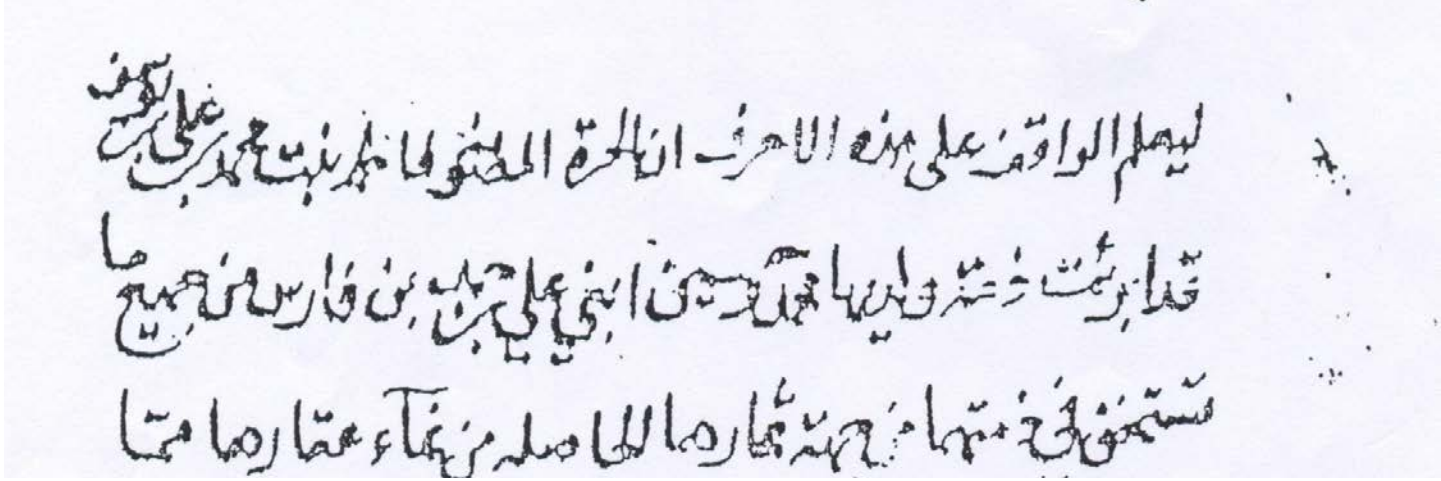

في بعض الوثائق، يتعهَّد المشتري نصياً ضمن شروط عقد البيع بالتالي: «على المشتري بلزوم حضوره عند كاتب عدل الأحساء للإقرار بالبيع عليهما، وقبض الثمن منهما، متى طلب منه ذلك»[1]. هذا الأمر يعطينا انطباعًا أوليًا عن أهالي المنطقة بأنهم يحترمون بعضهم بعضًا، وأنّ لرجل الدين قبولًا وحظوةً بينهم.

شخصيات دينيَّة كثيرة عملت على تحرير الوثائق، وتركت لنا دليلًا على المرحلة التي عاصرتها، من خلال ذكر أسمائها في الوثائق وإدراج تاريخ التحرير فيها. لن يجد قارئ تلك الوثائق اسم العلم مسبوقًا باللقب، ككلمة «الشيخ»، أو «العالم»، وحتى مفردة «السيد»، بل سيجد مفردات تشير إلى أنَّ محررها من طلبة العلوم الدينيَّة، مثل «حررها الأقل»، و«حرره الفقير الجاني»[2]، و«الفقير إلى الله»، و«أقل الناس عملاً وأكثرهم زللاً»، و«العبد المسكين». وكلّ هذه المفردات تشير إلى طالب علم. ومما رصدت منهم حسب الوثائق المتوفرة.

م	اسم المحرر	موقع تحرير الوثيقة	تاريخ تحرير الوثيقة
1	الأقل عبدالوهاب بن إبراهيم بن أحمد المقابي	البلاد	6/ 2/ 1118هـ
2	الأقل ناصر بن عبدالله بن حسن الجبيلي	الجبيل	6/ 2/ 1132هـ
3	الجاني إبراهيم بن أحمد اللويمي	البلاد	4/ 12/ 1132هـ
4	الجاني علي بن عبدالحسين بن عاشور البحراني	لم يحدد	24/ 7/ 1148هـ
5	محمد علي الحسني	العمران	24/ 7/ 1148هـ
6	الأقل محمد بن علي بن إبراهيم بن عيثان	لم يحدد	14/ 8/ 1171هـ
7	الأقل عبدالمحسن بن محمد [اللويمي]		19/ 3/ 1198هـ
8	الأقل عباد بن السيد حاجي	العمران الجنوبية	27/ 9/ 1253هـ
9	الأسير الفاني حجي آل صالح بن علي	العمران الجنوبية	1271/12/15هـ
10	الفقير إلى الله ناصر بن حسن بن جمعة	التويثير	3/ 1/ 1275هـ

مكان تحرير الوثيقة وتاريخها من الأمور الّتي فقدناها في هذه الوثائق، ولم تُعطَ أهمية من قبل محرّرها، بخلاف الوثائق الصّادرة عن المحكمة الرئيسيّة، الّتي يذكر فيها اسم المحكمة وموقعها، مثل: «قد حضر مجلس الشّرع الشريف الأنور، ومحفل الحكم المنيف الأزهر، المنعقد في محكمة بداية لواء مدينة الهفوف المحروسة، الملحقة لولاية بغداد»[3]. ولو احتملنا أنَّ كتابة الوثائق تكون عادة في مجلس منزل المحرّر، لوجود أقلامه وأوراقه إلى جانبه، رغم أن العقد يتضمَّن إشارة إلى أن البائع استلم من المشتري المبلغ في مجلس العقد، لكن من دون توضيح مكان عقد مجلس المذكور، ووقت انعقاده، سواء كان عند الصباح، أو المساء، أو الظهر. كما لا نجد فيها ما يحدّد إذا كان محرر الوثيقة يأخذ مبلغاً مادياً مقابل تحرير الوثيقة، ولو قيمة الورقة على الأقل، وإذا كانت المحاكم تأخذ مبلغاً ماديًا مقابل مبايعة إفراغ.

وفي بعض الوثائق، يشترط البائع لنفسه خيار رد الثّمن، أو فسخ العقد واسترجاع المبيع في مدة معينة، ويعوض عن كل سنة من المدة مقدارًا من المبلغ، كأجرة بدل مكوثه فيه [4].

قياس مساحة العقار

ومن الوثائق الَّتي وصلتنا، وثائق العقارات التي جرى بيعها. ويلاحظ في تلك الوثائق من القرن الحادي عشر إلى نصف القرن الرابع عشر، عدم ذكر مساحة العقار المراد بيعه [5]، بل كان يذكر عدد الأسهم، ويعرف بالشيوع، ويحدّد

العقار بذكر حدوده، من خلال العقار المجاور له، أو من خلال ما يحوطه من منازل وسكك، إن كان منزلاً. وقد ذكرت المساحة بدايةً في بداية العام 1380هـ تقريباً، واستخدم الذراع كوحدة قياس، وليس المتر، كما هو متعارف الآن.

أما إذا كان العقار بستاناً، فتقسم مساحته بالسهم، وقد ورد في وثيقة [6] تقسيم مساحة بستان ما يلي: «ثلاثة أرباعها وتسع الأصل لفاطمة بنت محمد بن علي بن يوسف، زوجة المرحوم علي بن حمد بن حسن بن فارس، وأولاد علي بن حمد المزبور، محمد وحسن وحسين وكلثم ورقية ومريم وأم حسين، ولحسن بن حمد بن حسن بن فارس، والربع الباقي بعد زوال تسعة مال لعلي بن عبدالله بن إبراهيم البغلي، ثم قُسمت قسمة شرعية، بحيث صار ثلاثة أرباعها المحصورة في المقسم الشمالي الغربي، لورثة علي بن حمد المزبورين، واختار علي بن عبدالله المرقوم بالربع الشرقي الجنوبي، وتسع هذا المقسم باقٍ فيه مشاعاً لملاك المقسم الغربي المتميز كل من المقسمين عن الآخر بالحدود المعنية. كما تدل عليه حجية شرعية على حِدَةٍ، لا جرم إخراج من مقسم علي المزبور تسعُه تقريباً، الباقي لشركائه المذكورين في الربع، كما تقدمت الإشارة إليه، موالياً لمقسمهم، فباع القائم مقام فاطمة وأولادها الذكور، لولايتها عليهم من جهة أبيهم، وقصورهم عن رتبة البلوغ، ومقام بناتها الأربع المذكورات البالغات الكاملات بعد ثبوت وكالته».

أحياء مذكورة في الوثائق

تتضمَّن وثائق بيع المنازل وشرائها ذكراً للأحياء القديمة في الأحساء، فيأتي النص على النحو التالي: «البيت الكائن بفريق... تابع فريق...». وهنا، نذكر مجموعة من الأحياء القديمة، بحسب المذكور في الوثائق التي بين أيدينا، ولا يعني ذلك تجاهل ذكر أحياء أو قرى ومدن لها تاريخ ضارب في المنطقة، وإنما أردنا بهذه القائمة الاستشهاد فقط، وهذا عدد منها:

م	اسم الفريج	تبع حدود	تاريخ الوثيقة
1	الفريج الشمالي	الرفعة بالهفوف	18/ 10/ 1279هـ
2	فريج الغراريش	الرفعة بالهفوف	28/ 7/ 1281هـ
3	البلاد[7]	البطالية	
4	فريج القوع[8]	الرفعة بالهفوف	2/ 11/ 1132هـ
5	فريج الشهارنة	الرفعة بالهفوف	1/ 7/ 1131هـ
6	فريج الصرارفة	بطرف باهلي	15/ 8/ 1127هـ
7	الشهارين	من القرى الشرقية	12/ 7/ 1110هـ
8	السحيمية	قرب عين الحارة	21/ 8/ 1121هـ
9	فريج الشريفة	الرفعة بالهفوف	1/ 11/ 1170هـ ، 15/ 3/ 1288هـ
10	فريج الرفاعة	الرفعة بالهفوف	16/ 12/ 1269هـ
11	الرميلة	من القرى الشرقية	21/ 3/ 1274هـ
12	فريج آل بن فارس	الرفعة بالهفوف	1/ 7/ 1278هـ 1/ 11/ 1278هـ
13	فريج الشعبة	المبرز	15/ 11/ 1284هـ
14	الموازن الجنوبية	قرية مندرسة	10/ 2/ 1299هـ
15	فريج الجحافحة	الرفعة بالهفوف	8/ 12/ 1300هـ
16	فريج المسابحة	قرية البطالية	11/ 11/ 1358هـ
17	فريج الشمالي	قرية البطالية	1/ 2/ 1380هـ
18	قرية غمسي	من قرى العمران	2/ 2/ 1164هـ

يشمل عقد بيع المنزل ذكر جميع ما يتبعه من سائر الحدود والحقوق، والتوابع واللواحق، من أرض، وحيطان، وسقوف، وأبواب، وطريق، وبئر وبالوعة، وكل حقّ لذلك داخل فيه أو خارج عنه، أو يعدّ منه أو ينسب إليه شرعاً وعرفاً، عموماً وإطلاقاً، ولغةً. ويذكر ضمن صياغة وثيقة المبايعات، عِلْمُ المشتري بكلّ ما يحتويه المبيع ويتضمّنه، وقد سبق ذلك كلّه بالرؤية بين المتعاقدين.

وثائق الوصايا

عادةً، تبدأ كتابة الوصيّة، والوَصيّة: تمليكٌ مضاف إلى بعد الموت، والمُمَلِّك هو الموصِي، ولِمَنْ له التمليك هو المُوصى له [9]، بعبارة: «الحمد لله الذي أمر بالوَصيّة قبل حلول المنية»، ثم يصلّي على النبي محمد وآله خير البرية، ويذكر صيغة «هذا ما أوصى به»، وإذا كانت امرأة «هذا ما أوصت به»، ويُذكر الاسم، وبعد الإقرار بالشهادتين، يذكر الخلفاء الراشدين الثلاثة عشر معصوماً (عليهم السلام)، ثم يوصي بالكفن، قائلاً: «أوصي بالكفن الساتر والملح الراهي»، ويوصي أيضاً بأن يحفر قبره ويغسل جسده، وبأربعين رجل يصلون له صلاة هدية، وتقام الفاتحة لروحه، ويحدّد عدد أيام الفاتحة، وما يعمل فيها من قراءة قرآن كريم وتعزية على الإمام الحسين (عليه السلام)، ويكتب ما سيصرف فيها، وباقي المبالغ تُصرف صلاة مرسلة وصيامًا. ثم يكتب اسم الوَصيَ (10) الذي سيقوم بتنفيذ الوصية، وتكتب عبارة: «تنجيز وصاياه»، وإذا كان لديه وقف يكتب اسم مسؤول الوقف، ثم يحررها ويشهد شاهدان.

الناظر إلى وثائق الوصايا، سيلاحظ اهتماماً منقطع النظير من الناس في المضي بالاهتمام بكتابة الوصية، وذكر تفاصيل دقيقة فيها، فتتضمَّن الأموال التي يرغب الموصي في صرفها عن روحه، كما تتضمَّن سلوكيات وعادات الفاتحة والتأبين وما يصرف عليه من أموال، إضافةً إلى الإقرار في وثائق الوصايا بحقوق الأقرباء والأباعد، حتى تُبرأ ذمة الموصي بما عليه من حقوق للآخرين.

تستمرّ علاقة الأبناء بآبائهم بعد رحيلهم عن الدنيا، حتى أثناء كتابة وصاياهم (11)، فقد أوصى الرجل خليفة بن خليفة آل صالح أن يخرج من ثلثه صلاة ثمانية أشهر، وثمانية أشهر درس قرآن لأبيه المتوفى، كما يوصي بعض الآباء لأبنائه بأدوات المهنة التي يعمل بها، وبعضهم يهب الذكور دون الإناث (12)، مثل وهب محمد بن ناصر لوازم عمل الصياغة لأبنائه(13). ويكتب الزوج في الوصيّة حقّ زوجته من مؤخّر الصّداق الّذي يتوجّب عليه، ويحدّد قيمته، فيكتب: وفي ذمتي مهر زوجتي... (ويسميها)، ثم يذكر المبلغ (14).

بعض الوصايا تأتي موقّعة ومختومة من أحد علماء المنطقة، أو أحد رجال الدين الذين يقطنون مع الموصي في حي واحد، منها ما أوصى به عبدالله بن الشيخ أحمد بن عبدالله الشايب، 11/ 7/ 1340هـ فقد ثبت وأقر عند الشيخ عمران بن حسن السليم.

نموذج من الوصايا

النموذج الأول: وصية (15)، فبعدما أوصى بأن يُغسل بالأغسال الثلاث، ويكفّن في ثوب ساتر من القطن، واثني عشر مثقال كافور، وسبع ليال تعزية، وصلاة هدية أربعين رجلاً، وأن تصرف من أمواله أربعين طويلة لمن يصلي صلاة الهدية - وهي إشارة إلى أنّ المجتمع لم يعتد على صلاة الهدية في ذلك الزمان للمتوفى - أوصى أيضاً بزيارة للإمام الرضا (عليه السلام)، وزيارة العتبات المقدسة، وعبادة عشرين سنة، وقراءة جزء من القرآن الكريم كلّ يوم، لمدة ثلاثين سنة، وصيام خمس عشرة سنة، لمدة شهر كامل كل سنة، وكفارتين كبار، وثلاث كفارات صغار. وكل ما يصرف على نظر الوصي.

وأخذ يوزع أملاكه، فبدأ بـ «الشبرية»، لافتًا إلى أنها لابنه محمد، والقدر الكبير مع القدر البحراني، وطاسة شيرازية له وليس لأحد من الورثة، والدفتر الصغير له أيضاً، أمّا الكبير فهو بين الجميع، والسيف الكبير له وحده، ولديه تفقان (16)، تفق رومي وتفق مشحوط، وهما له وليس للورثة حق فيها.

أمّا البقر من الحيوانات، فقد قسمه على النحو التالي: البقر الموجود لدى أبناء بن سالم مع بقرة لكويتي أكداد العامرية، وعجلة ابن رجيب، والبقرة الموجودة عند شوقي، والبقر الموجود عند عيسى بن صالح، هي من حقه، وليس للورثة فيها حقّ ولا مستحقّ.

كلّ هذا يعمل الوكيل سلطان بن عبدالله آل علي على العمل بالوصية من ثلثه، والباقي لولده محمد، وبنت عبدالله لها عنده مهر، والذهب لها من النخلات، والصندوق لها أيضاً.

النموذج الثاني: ومن وصية أوصى بها عبدالله بن الشيخ أحمد بن عبدالله الشايب، نورد التالي: والذي عليَّ من الدين مئة ريال خُمس، نصف منها للسادة ونصف للإمام، ومئتا ريال عليّ لابني طاهر، دين لأجل عرسه من أصل المال، والكتب كلها والميزر (17) لابني طاهر من أصل المال، والصبيخة وقف للنّبيّ صلى الله عليه وآله، تصرف يوم وفاته وعليها ورقة، والنخلتان المحاذيتان للقرايع وقف لسيد الشهداء، تصرف ليلة هلال محرم(18).

وثائق الأمانات

كانت الوثيقة إذا اختصّت بقبض أموال أو أمانة تبدأ بـ: «ليعلم الواقف على هذه الأحرف بأني يا...»، و»نعم، أقول أنا يا..». وفي الوقفية، يكتب: «الموجب لما سيذكر، والمقصود فيما هو يحصر، أنه قد أوقف وحبس»، ووجدنا أيضاً: «بعد إعلان لما سيأتي».

وعادة ما يُسجّل الدّين من الأموال، استجابة لقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ}(19). والدائن يُشهد على نفسه شهوداً، كما في نصّ وثيقة: «وقد أشهدتُ على نفسي جماعة»(20).

وفي إحدى الوثائق، يُعلم الكاتب المكتوب له عن وصول حوالة مالية وقدرها (850) ريالًا إليه، بواسطة وسيط، ويلتمس منه مكتوبًا يعلمه فيه بوصولها إليه(21).

وفي وثيقة كتبها السيد كاظم على نفسه بأنه قبض مبلغًا وقدره ألف ريال عربية، من طاهر بن خليفة الصالح، وفيها تفاصيل، على النحو التالي: خمسمئة وخمسون ريالًا نقداً، وأربعمئة وخمسون ريالًا تحويلاً بيد الشيخ عبد الوهاب.

هذا المبلغ عبارة عما يلي: جزء منه نيابة عن الحج، وقدره خمسمئة ريالٍ استلمها نقداً، ومئتا ريال حوالة بواسطة الشيخ عبدالوهاب، ومبلغ وقدره مئة وثلاثون ريالًا تكاليف مراسيم إقامة الفاتحة لروح طاهر المذكور، ومئة وعشرون ريالًا من حقّ السيد كاظم من ثلثه المعلوم.

وشهد على نفسه جماعة من المسلمين، منهم: مبارك الدخيل، والشيخ حبيب بن الشيخ سلمان العبداللطيف، والشيخ عبدالوهاب بن سعود الغريري. وقد شهد بالإقرار السيد محمد بن السيد حسين العلي مع وضع ختمه على شهادته (22).

وثائق الأوقاف

تحكي الوثائق الخاصة بالأوقاف عن تعدّد أنواعها، والتي تشمل الوقف على الجوامع والمساجد والمدارس، كما يندرج فيها أيضاً الأوقاف المخصّصة لمراقد الأئمة (عليهم السلام)، ومعظمها في العراق، إضافةً إلى ما يوقف على الحسينيات (23)، ومن تلك الوثائق نذكر التالي:

- وقف للمسجد: أوقف الرجل محمد بن حسين العمر، (الشرب) المسمى (العيفان) على ساقية نهر الحقل، وقد قسم الوقف إلى نصفين: نصفه يُصرف في قراءة جزء من القرآن الكريم يومياً وأبدياً، والنصف الآخر يصرف للإمام الذي يؤم الجماعة في المسجد الأوسط الكائن في الفريج الشمالي، المشهور بمسجد (عيسى العمر)، وهو وقف مؤبد.
- وقف معيّن يوم وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أوقف وحبس الرجل أحمد بن عبدالله الشايب النخل المعلوم المسمى الصبيخية، الكائن في طرف [العمران] الجنوبية، على ساقية أبي جنيب... وقفاً محبساً

مؤبداً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وجعل ذلك معيناً في يوم وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر، تصرف حاصلاتها في ذلك اليوم على محّبة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويقرأ فيه وفاته (صلى الله عليه وآله) (24).

- وقف لأبي عبدالله الحسين (عليه السلام): ...أقرت واعترفت الحرة المصونة، مريم بنت يوسف العثمان... بأنها قد أوقفت وحبست وأبدت ما هو بيدها وتحت تصرفها بمفردها دون غيرها وما آل إليها شراءً من الرجل... كامل الدار الكائن موقعها بفريج الشمالي، تابع الرفعة المحدودة غرباً الطريق، وشمالاً الوقف، وشرقاً دار مريم بنت علي بن أحمد ويتمه الطريق المشترك وبه الباب، وجنوباً الطريق... فهو وقف لله سبحانه وتعالى على مدى الأيام والأعوام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، على أن تصرف حاصلها بعد عمرانها للحسين بن علي على إرادتها، إمَّا زيارة الحسين أو إقامة عزائه (25).

- وقف ذريّة: رجل من أسرة السلمان، أوقف وحبس وأبّده على ذريته المنتسبين إليه بطناً عن بطن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، أوقفه قاصداً به محض البر والإحسان، راجياً فيما عند الله، فمن بدله بعدما سمعه، فإنما إثمه على الذين يبدلونه (26).

وثائق الصّلح

وتأتي في قائمة الوثائق أيضًا ما يعرف بالمصالحات التي تختصّ برفع الخصومات، والصلح بحسب الشرع هو عقد يرفع النزاع بالتراضي، أي: بتراضي الطرفين المتخاصمين، ويزيل الخصومة ويقطعها من خلال هذا العقد. وركنه عبارة عن الإيجاب والقبول، ينعقد ويصح بحصول الإيجاب من طرف والقبول من طرف الآخر (27).

تبتدئ كتابة وثائق الصلح بعد البسملة، بـ: «الحمد لله الذي قطع النزاع والتشاجر بين المسلمين»، وأيضاً: «موجبه الصحيح، هو أنه لما حضرت القسمة الصحيحة الشرعية الحاسمة لمادة النزاع بين الرجلين».

وهذا لا يعني أنَّ وثائق الصلح تكتب بناء على خلاف وشجار حيال موضوع معين، بل يتصالحون على شيء ينظم حياتهم وبرنامج عملهم، أي أنها بمثابة اتفاق، فهم «يتفقون» على برنامج أو جدول لسقي بساتينهم، ويتصالحون على حفر بالوعة لفضلات الماء في الحي، وهكذا.

عقود توزيع المياه بين البساتين

تُعرف الأحساء بأنها أرض زراعية، وفيها وفرة من العيون الفوارة الطبيعية، يبلغ عددها في إحدى الإحصائيات 159 عيناً تقريباً، يتدفق منها حوالى 10 أمتار مكعبة في الثانية من المياه في حوض كبير وعميق، ثم يخرج الماء الزائد من الحوض في جداول أو قنوات مياه طبيعية عميقة وعريضة تسمى نهر، ويعرف بـ (الثبر)، وجمعها (ثبارة)، وتذكر

في الوثائق أيضًا بالساقية. ويُقدر عدد الأنهار الجارية الكبيرة والصغيرة في الأحساء بحدود 800 نهر (28)، ولكل ثبر اسم مشهور ومعروف، وله اتجاه وممر يسقي مجموعة من البساتين، كما أن الأهالي يأخذون منه حاجتهم، ويغسلون ملابسهم، وينظفون أجسادهم من هذه المياه الجارية. وهذه مجموع من أسمائها كأنموذج مما ذكر في الوثائق فقط (29).

م	اسم النهر (الثبر)	موقعه	ملاحظات
1	ساقية الشمالية [30]	بطرف البلاد	
2	ساقية نهر الرقيع [31]	طرف الطربيل	
3	ساقية البديع [32]	العمران	
4	ساقية فريحة [33]	طرف الرقيات	
5	ساقية الخدود [34]	طرف بني معن	
6	ساقية برابر [35]	طرف الرفعة	
7	ساقية نهر الحقل [36]	على طرف الحقل	
8	نهر السواري [37]	على طرف السواري	يمر على بساتين قرية الحليلة
9	ثبر المزرع [38]	على ساقية عين الحقل	
10	ثبر العيفان [39]	على ساقية عين الحقل	
11	ثبر العبل [40]	على ساقية عين الحقل	
12	نهر الحار [41]	بطرف السحيمية	أم سبعة
13	ساقية أبي السفن [42]	طرف البطالية	
14	ساقية النجوى [43]	طرف واسط	والعمران الشمالية

15	ساقية نهر النعيلي [44]	طرف الجبيل	
16	ساقية الجرواني [45]	طرف الجبيل	من نهر سليسل
17	نهر البديع [46]	طرف التوثير	
18	ساقية البيرد [47] أو البويرد	الموازن الجنوبية	
19	ساقية أبي جنيب [48]	العمران الجنوبية	
20	ساقية نهر الحاثي [49]	العمران الجنوبية	
21	نهر السيب [50]	طرف العمران الشمالية	
22	نهري العجمي [51]	طرف العمران الشمالية	
23	ساقية النجوى [52]	طرف العمران الشمالية	
24	ساقية أبي البقر [53]	طرف العمران الشمالية	
25	ساقية خيبان [54]	طرف العمران الشمالية	
26	ساقية الشنيني [55]	طرف العمران الشمالية	
27	ساقية عين أبي ناصر [56]	المطيرفي	
28	ساقية عين الشميطية [57]	الخدود	
29	ساقية أبي السفن	طرف البطالية	
30	ساقية المعبر	طرف البطالية	
31	ساقية كنديج [58]	القارة	
32	ساقية الرابعة	طرف البطالية	

وحرصًا من الفلاحين على تنظيم العمل والاستفادة من المياه التي تمرّ في بساتينهم، خصّصوا جداول لتوزيع حصص المياه بينهم، ليأخذ كل بستان حاجته من المياه، ووضعوا هذه الجداول ضمن وثائقهم، ورضوا بها، وشهدوا الشهود عليها في أوراق مستقلة كمعاهدات بينهم. وتُذكر تفاصيل حصص كلّ بستان في العقد عند البيع ونقل الملكية، ويلتزم المشتري بما نص عليه في العقد [59].

ويتضمَّن عقد توزيع المياه اسم البستان، وموقعه، وحدوده، والساقية التي يسقي منها. ويلاحظ أثناء توزيع حصص المياه لكلّ بستان مراعاة الفصل أثناء السقي في الصيف أو الشتاء.

وفي وثيقة مصالحة ورد: «... يسقى ليلة الجمعة من الماء الجاري في ثبر الحسنيّة إلى أن يروي هذا... وقع الاتفاق والصلح عن ذلك بين حسن المذكور وسيد رجب بن السيد محمد عن نفسه، وبوكالته مشافهة عن عبدالحسن بن إبراهيم، والسيد إبراهيم بن السيد بدر، وعن حاكم الشرع... السيد محمد بن حسن، والسيد أحمد بن عبد علي بن بدر، ومريم، وأم علي، ووردة، وشريفة، بنات السيد بدر بثبوت المصلحة لهم في ذلك، بشروة السيد مقبل والسيد حاجي وشريان بن تمام، ربع الضحاوي في الثبر المذكور، يوم الجمعة يسكر عليه في ثامنة على الدوام في الماء الجاري في الثبر المذكور على العادة. وجرى ما ذكر بطريق التبايع الشرعي الجامع لسائر المعبّرات، فصار الربع المذكور حقًا من حقوق السبخة المذكورة، وملكًا من أملاك حسن، لم يبق للسيد رجب وشركائه المذكورين فيه حقّ ولا مستحقّ»[60].

وكتب في ختام عقد مبايعة: «والماء المذكور هو جملي الربع العصري من يوم الجمعة من خمسة عشر من سكرة الغاربية المذكر لها» [61].

وثائق مصالحة تصريف المياه من المنازل

نظرًا إلى عدم وجود شبكة تصريف صحّيّ في المنطقة، نهض رجال بعض الأحياء (من ذوي الدخل الجيد) بفكرة حفر عين لتصريف الماء الزائد عن الحاجة، وتسمى بالوعة لتصريف الماء القذر ومياه الأمطار وغيرهما، وهي بمثابة مشاركة بين مجموعة أشخاص من حارة واحدة، لأنَّ حفر العين يكلّف مبالغ كبيرة. وبعد الحفر، يستفيد منه جميع من يريد تصريف ماء منزله، فالعين موجودة مقابل مبلغ رمزي (يتم الاتفاق عليه) يدفع شهرياً، وهذا المبلغ يوزع على المساهمين في حفرها. وكتبت الوثائق في هذا الشأن كمصالحات لحفظ الحقوق. منها:

وفي وثيقة صدرت عن محمد بن عبدالله السمين فيها إقرار، تضمنت اسم من تكفل بحفر البالوعة، وإشارة إلى أنه تكفّل بجميع مصاريف الحفر، من دون مشاركة لأحد، مع ذكر لتحديد موقعها [62].

وثمة وثيقة أخرى فيها مصالحة صلح شرعيّ، باتفاق بين الأطراف المساهمين في حفر البئر، بأن يكون البئر المحفور منجى للجميع، والكلّ يجري فاضل مائه وغسالاته إلى البئر من جهته، ولا يجري ماء أحدهم على الآخر، بل اشترط كلّ شخص يسد مجراه عن الآخر، بعدما اشترى رجل حقّ اثنين من المساهمين في الحفر [63].

وثائق حصر الورثة

وفي حصر الورثة تبدأ الوثيقة بـ: «قد حضر لدي»، و»ثبت لدي شهادة». وعادة ما تتضمَّن وثائق حصر الورثة اسم الشهود، ثم ذكر الشهادة بأحرف: «فشهدا الله سبحانه وتعالى»، ثم ذكر اسم المتوفى، وتعقبها: «قد مات، وانحصرت وراثته في»، وأن ما ذكره بشهادة الشهود المذكورين أعلاه. وفي حال أوكل الموصي بأن ينوب عنه شخص ما أمور الإرث، يذكر ذلك تبعاً. وتختم بشهادة القاضي، كاتباً: «حكمت بصحة هذه الوراثة والوكالة. وأنا... والذي تحرر في...»، ويضع ختمه.

وثمة وثيقة تتضمّن إقرارًا باستلام حق الورثة، بدأت بـعبارة «أقر صدقاً واعترف حقاً»، وبعد ذكر اسمه، يقول: «قد قبضت من يد»، ويذكر اسم اليد التي قبض منها، ثم يذكر بالتفصيل ما قبض، إلى أن يقول: «ولم يتبقّ بعد ذلك لي عليه حقّ ولا مستحقّ، ولا دعوى ولا سبب من جهة»، وان هذه الورقة كتبت لخلاص ما في ذمته كي لا يخفى، ويذكر تاريخ تحريرها، وتختم بذكر الصلاة على محمد وآله. ثم يشهد على ذلك القاضي بوضع ختمه تصديقاً لما ورد فيها.

ولا يجد الأخوة حرجًا بينهما بالكتابة وإبراء ذمة أحدهما للآخر، بعد استلام حقه الشرعي من الميراث، مع شهادة الشهود، وتصديق أحد أعلام المنطقة، وتذيّل بالعبارة التالية: «الورقة كتبت لوقت الحاجة، كي لا يخفى» [64].

وثائق العزاء

وفي رسائل العزاء، تبدأ الوثائق بآية من الذكر الحكيم: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ} [65]، وتبدأ أيضاً بعبارة: «الحمد لله الذي أمر بالصبر عند المصائب وندب إليه».

وقد وُجدت رسالة بدأت بعبارة لطيفة، وهي: «أبهى ما يرقم، وأفضل ما يترجم من سلام ودعاء وحمد وثناء»، رغم أنها تعزية لوفاة شخص عزيز للمرسل إليه.

تأتي وثائق العزاء من خارج الأحساء إلى داخلها، ومعظمها من القطيف والبحرين، ومن طلبة العلوم المقيمين في العتبات المقدسة. وهذه الوثائق تحمل في طياتها مضامينَ إنسانيةً، وصفاءً ومحبةً بين المؤمنين، ومن الجدير الالتفات إليها ودراستها.

الرسائل الشّخصيّة

لم أجد في الرسائل الشخصيّة مفردة أو كلمة مخصوصة تبدأ بها الرسالة بعد البسملة، وهذا شيء طبيعي، لأن الرسائل بين الأصدقاء لها خصوصية الصداقة والعلاقة، وإن علا مقامهم العلميّ أو الاجتماعيّ. وإذا كان هناك شيء يمكن ذكره والحديث عنه في بداية الرسالة، فهو عام لا يمكن تخصيصه أو أخذه كقاعدة تنطلق منها الرسالة، على النحو التالي:

إذا كانت مُرسلة إلى عالم دين، يذكر اسمه بعد عبارة «إلى حضرة»، و»حضرة جناب الأجل الأمجد، الأكرم المكرم». إما إذا كانت رسالة بين شخصين، فهي تبدأ بالسلام، مثل: «أهدي السّلام التام والثناء الجميل العام».

ومعظم الرسائل لا تحمل تاريخاً، وإن كتب المرسِل التاريخ، فيكتفي بذكر تاريخ اليوم والشهر، من دون ذكر السنة، فموضوع تاريخ وثائق الرسائل عائق لمن يصنع أرشيفاً بنظام التاريخ، كما ذكرت سابقاً. وبعض الباحثين لا يقرأ الوثيقة ولا يقيم لها أهمية إلا من خلال تاريخها. وهذا ما يفوّت عليه الشيء الكثير، لاحتوائها على مواضيع وجوانب إنسانيّة ومعلومات كثيرة.

وفي الرسائل الشّخصيّة، تُذكر أسماء عديدة، إضافةً إلى اسم المرسِل والمرسَل إليه، فترد أسماء من أجل السلام على المرسِل إليه أو إبلاغهم السّلام، وتعرض بعض الأسماء إذا احتوت الرسالة على موضوع معين، فيضطر الكاتب إلى ذكرهم.

الطّرفة في بعض الرسائل

لا تخلو بعض الرسائل من الطرفة وروح المرح، سواء كتبت للمرح أو لغيره، ولكنّ محتواها ومضمونها يحتوي هذا الشيء، فقد كتب رجل من الكاظمية يدعى «هادي»، للخطيب الملا ناصر النمر، وهو في النجف الأشرف في العام 1377هـ يفيده بأنّ رسالته وصلت، ويشير إليه بأنه وجد «التبغ والنرجيلة»، وصارت موجودة لديه، ويظهر أنّ الخطيب فقدها أثناء سفره من الكاظمية إلى النّجف الأشرف.

وقد كُتبت معظم الرسائل خارج الأحساء، فيكون المرسِل في النجف الأشرف لطلب العلم أو من أجل زيارة العتبات المقدسة. وقد تصدر الرسالة من كربلاء أو الكاظميّة. وتوجد رسائل كثيرة أُرسِلت من القطيف والبحرين والكويت أيضاً، وكل رسالة لها موضوع مستقل. وهناك رسائل كتبت داخل الأحساء، تخبر معظمها المرسَل إليه عن موضوع حدث في مدينته أو قرية المرسِل، أو تُقدم له دعوة لزيارتها، أو حضور حفل لمناسبة دينية ستقام في حسينية ما، ويذكر اسمها [66]، وهكذا.

احمد عبد الهادي صالح: المحمدصالح، صيدلي بوزارة الصحة بالمملكة العربية السعودية، باحث وكاتب في تراث المنطقة ومحقق مجموعة من كتب الشيخ الأحسائي.

للتواصل عبر الإيميل: ahmed.ab.hadi@gmail.com

المصادر والمراجع:

1. وثيقة شرعية، محررة في 27/ 6/ 1369هـ موقعة ومختومة من السيد محمد بن السيد حسين الموسوي.
2. وثيقة شرعية، محررة في 20/ 7/ 1176هـ (حررها الفقير الجاني، عبدالله بن مطلق المطوع، وكفى بالله شهيداً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الأخيار).
3. وثيقة شرعية، محررة في 17/ 7/ 1298هـ.
4. وثيقة شرعية، محررة في 14/ 11/ 1389هـ.
5. وأيضًا، ذُكرت مساحة الأحساء بالساعات، كما في (سالنامة الولاية) لسنة 1318هـ قائلاً: «طول مساحة سنجق، نجد [الأحساء] من المحل المسمى بيراية [يبرين] في جهة الجنوب إلى جزيرة العماير في الشرق 112 ساعة، وعرضها من العقير الواقعة على السواحل النجدية إلى العرمة الواقعة في جهتها الغربية 62 ساعة». راجع: صابان، د.سهيل، من وثائق الأحساء في الأرشيف العثماني 1288 – 1331هـ الطبعة الأولى 1430هـ - 2009م، إصدارات نادي الأحساء الأدبي: ص 22.
6. وثيقة شرعية، محررة في 17/ 3/ 1160هـ بتوقيع وختم الشيخ علي بن عبدالحسين بن عاشور البحراني.
7. وثيقة شرعية، محررة بتاريخ 4/ 12/ 1132هـ.
8. القوع: حرف القاف ينطق مثل حرف (g) بالإنجليزية، أو مثل حرف (الجيم) القاهري.
9. راجع: الجرجاني، مصدر سابق: 326. وَالبركتي، السيد محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، الطبعة الأولى 2424هـ - 2003م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: 237.
10. (الوَصيُّ: شرعاً من يقام لأجل الحفظ والتصرّف في مال الرجل وأطفاله بعد الموت). راجع: البركتي، السيد محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، مصدر سابق: 237.
11. وصية شرعية، محررة في 11/ 9/ 1371هـ وعليها إمضاء وتصديق السيد محمد بن حسين العلي.
12. وصية شرعية، محررة في 1/ 1/ 1365هـ بتوقيع وختم من السيد حسين بن محمد الموسوي.
13. وصية شرعية، محررة في 6/ 6/ 1371هـ.
14. وصية شرعية، محررة في 11/ 10/ 1365هـ.
15. هذه وصية لم يكتب فيها اسم الموصي ولا تاريخ تحريرها، وإنما الوكيل على تنفيذ الوصية سلطان بن عبد الله آل علي.
16. تفقان: أي بندقيتان، والبندق تفق.
17. الميزر: نوع من البنادق الألمانية، لشركة ماوزر.
18. وثيقة شرعية، محررة في 11/ 7/ 1340هـ وعليها تصديق من الشيخ عمران بن حسن السليم، والشيخ أحمد بن عبدالله الشايب.
19. سورة البقرة، الآية: 282.
20. وثيقة شرعية، محررة في 4/16/ 1354هـ.
21. وثيقة شرعية، محررة في 20/ 7/ 1365هـ.
22. وثيقة شرعية، محررة في 14/ 10/ 1371هـ.
23. القريني، د. محمد بن موسى، الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء 1288 – 1331هـ / 1871- 1913م، الطبعة 1426هـ دارة الملك عبدالعزيز: ص 239.
24. وقفية شرعية، محررة في 5/ 5/ 1334هـ شهد عليها الشيخ عمران آل سليم، والشيخ موسى أبو خمسين.
25. وثيقة شرعية، محررة في 21/ 6/ 1387هـ شهد بإقرار الواقفة السيد محمد بن السيد حسين العلي.
26. وثيقة شرعية، محررة في 1/ 7/ 1131هـ.
27. راجع: حيدر، علي، درر الحكم شرح مجلة الأحكام، الطبعة الأولى، نشر: دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت: 4/ 7.
28. راجع: صابان، د. سهيل، من وثائق الأحساء في الأرشيف العثماني، مصدر سابق: ص23.
29. لمعرفة أكثر من أسماء أنهار الأحساء راجع: صابان، د. سهيل، أراضي الأحساء ومزارعها الميرية في سجل الخزنة الخاصة رقم 4125 من سجلات الأرشيف العثماني، الطبعة الأولى 1431هـ / 2010م، نادي الأحساء الأدبي، المملكة العربية السعودية: 27.

30. وثيقة شرعية، محررة في 4/ 12/ 1132هـ محررة من قبل الشيخ إبراهيم بن أحمد اللويمي، ووثيقة شرعية، محررة في 6/ 2/ 1118هـ محررة من قبل الشيخ عبدالوهاب بن إبراهيم بن أحمد المقابي.

31. وثيقة شرعية، محررة في 9/ 2/ 1138هـ مصدق عليها من الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن الشيخ محمد العدساني.

32. وثيقة شرعية، محررة في 24/ 7/ 114هـ

33. وثيقة شرعية، محررة في 10/ 11/ 1148هـ ووثيقة شرعية، محررة في 24/ 7/ 114هـ

34. وثيقة شرعية، محررة في 26/ 12/ 1052هـ

35. وثيقة شرعية مبايعة الصبيخه، محررة في العام 1282هـ

36. وثيقة شرعية وقف، محررة في 4/ 6/ 1393هـ الموقف محمد بن حسين العمر، من فريج الشمالي.

37. وثيقة شرعية، محررة في 11/ 4/ 1204هـ

38. وقفية شرعية، محررة بتاريخ 8/ / 1385هـ الموقف الرجل الرشيد محمد بن حسين العمر، من فريج الشمالي.

39. المصدر السابق.

40. المصدر السابق.

41. وثيقة شرعية، محررة في 20/ 8/ 1381هـ

42. وثيقة شرعي، محررة في 28 / 6/ 1379هـ

43. وثيقة شرعية، محررة في ... / 5/ 1132هـ ووثيقة شرعية، محررة في 22/ 12/ 1269هـ

44. وثيقة شرعية، محررة في 2/ 7/ 1132هـ حررها ناصر بن عبدالله بن حسن الجبيلي.

45. وثيقة شرعية، محررة في 30/ 1140/5هـ حررها السيد حسين أحمد الحسني.

46. وثيقة شرعية، محررة في 6/ 11/ 1167هـ

47. وثيقة شرعية، محررة في 10/ 2/ 1299هـ ووثيقة شرعية، محررة في 15/ 7/ 1298هـ

48. وقفية شرعية، محررة في 5/ 5/ 1334هـ عليها شهادة الشيخ عمران آل سليم، والشيخ موسى أبو خمسين.

49. وثيقة شرعية، محررة في 1/ 8/ 1331هـ بشهادة الشيخ عمران بن حسن السليم، والشيخ موسى أبو خمسين.

50. وثيقة شرعية، محررة في 21/ 3/ 1274هـ كتبها عبدالله بن حسن.

51. وثيقة شرعية، المصدر السابق.

52. وثيقة شرعية، محررة في 22/ 12/ 1269هـ

53. وثيقة شرعية، محررة في 27/ 3/ 1275هـ

54. وثيقة شرعية، المصدر السابق.

55. وثيقة شرعية، المصدر السابق.

56. وثيقة شرعية، المصدر السابق.

57. وثيقة شرعية، المصدر السابق.

58. وثيقة شرعية، محررة في 23/ 4/ 1347هـ مصدقة من الشيخ موسى بن عبدالله أبو خمسين.

59. للمزيد راجع: صابان، د. سهيل، أراضي الأحساء ومزارعها الميرية، مصدر سابق: 33.

60. وثيقة شرعية، محررة بتاريخ 28/ 6/ 1156هـ

61. وثيقة شرعية، لبيع الشطيب (أبي قارية)، وجملة العقار المسمى بالغاربية، الواقع بطرف المزاوي، محررة في 29/ 4/ 1159هـ.

62. وثيقة شرعية، محررة في 22/ 2/ 1388هـ وعليها تصديق وختم السيد محمد بن السيد حسين العلي.

63. وثيقة شرعية، محررة في 29/ 2/ 1379هـ وعليها ختم السيد محمد بن السيد حسين العلي.

64. وثيقة بتصديق السيد محمد بن السيد حسين العلي، محررة في 16/ 6/ 1377هـ

65. سورة البقرة، الآية: 155 - 156.

66. وثيقة كتبها الخطيب الشيخ كاظم بن ملا محمد صالح المطر (ت: 1390هـ)، للعلامة السيد محمد العلي (ت: 1388هـ) قاضي الأحساء.

الأرشيف
الوجود
والعدم
يوم الأرشيف العالمي
حفل إطلاق
"محرك بحث أوال الإلكترو
المتخصص بالشأن البحريني

متابعات

«أوال» يطلق محركا للبحث الإلكتروني... ويتيح سجلات بريطانية تروي جزءًا مهمًا من تاريخ البحرين

أطلق مركز أوال للدّراسات والتّوثيق (الخميس 2 مايو/ أيار 2016) محركا للبحث الإلكتروني يحتوي على نحو 400 ألف وثيقة، وذلك خلال فعالية أقامها تحت عنوان «الأرشيف: الوجود والعدم» في مكتبة أنطوان وسط بيروت.

الحفل الذي شهد حضور عدد من المختصين، أعلن فيه المركز عن إصدار جديد، يوازي إطلاق محرك البحث من حيث الأهمية، وهو إصدار المجلدات الخمس الأولى من سجلات البحرين في الأرشيف البريطاني. وتروي الوثائق الأحداث التي شهدتها البحرين خصوصًا ومنطقة الخليج عمومًا في الفترات الممتدة من العام 1820 حتى العام 1971، كما تحوي عددًا كبيرًا من المراسلات بين البحرين وعدد من الأطراف منها الحكومة البريطانية والمقيمية البريطانية والحكومتين الفارسية والتركية.

«المركز الوطني» يضع إمكانياته تحت تصرف «أوال»

المدير العام للمركز الوطني للأرشفة والتوثيق كارين عاصي قالت في كلمة إن الوثائق والأرشيف تلعب دورا في حفظ حقوق الوطن والمواطن، ولفتت إلى كونه «الحافظ الأساس للتّراث الذي تستعيده الأمم، ونتاج تاريخها ومراحل وجودها، الذي يُقاس بالمعاناة المؤثرة في كنه الإنسان وجوهره»، قبل أن تؤكد عاصي أن «المركز الوطني للأرشفة والتّوثيق يضع كافة إمكانياته بتصرف مركز أوال للوصول سويًا إلى حفظ وكتابة التّاريخ».

من جهته أشار الصحافي علي مطر إلى «المسؤولية التي أخذها مركز أوال على عاتقه بحفظ أرشيف البحرين

بشكل خاص، ومنطقة الخليج بشكل عام، لأهمية ذلك على مستوى تاريخ الشّعب البحريني والمنطقة»، بينما اختار الدكتور في كلية الإعلام في الجامعة اللّبنانية جواد مكي، الحديث عن أهمية تنظيم عملية الأرشفة واعتمادها على النّظم المعلوماتية الحديثة، وأثنى مكي في حديثه على «مبادرة مركز أوال وجهوده في حفظ الذّاكرة البحرينية عبر عملية توثيق المستندات وتقديمها بوسائل حديثة تحاكي التطور التقني في عالم الإنترنت، ما يتيح للباحثين والمختصين وطلاب المعرفة الوصول إليها بسهولة والإفادة منها».

الصحافي عبدالرحمن جاسم: الأرشيف معركة لإثبات الوجود والأحقية

الصحافي عبد الرّحمن جاسم تطرق في كلمته إلى اهتمام الإنسان بالأرشفة «منذ بدايات وجوده على ظهر البسيطة، سواء بالرسم على حوائط الكهوف أو النقش على الصّخور أو الرّسم على أوراق البردى»، متحدثًا عن تجربة الشّعب الفلسطيني «الذي غدا أشبه بشعب بلا تاريخ، حضارة أو حتى مستقبل، بالنسبة للباحثين والأكاديميين أو حتى الأشخاص العاديين، حيث لا يوجد أرشيف -رسمي- يمكن استخدامه لدحض الدعاية الصهيونية والحديث عن حضارة فلسطينية كانت قائمة قبل العام 1948»، واستند إلى مثال استقاه من تجربة شخصية، حيث أن الأوراق الثبوتية لوجود عائلته في مدينة يافا تعود إلى العام 1732، ما يعني، وفقًا لقوله، أنها وحدها أكبر من دولة الكيان العبري، وبالتالي «خسر الشعب الفلسطيني معركة إثبات الوجود والأحقية والقدرة عن الدفاع عما هو له».

وأشار جاسم إلى أن «عمل مركز أوال في الأرشيف هو عمل جهود دؤوب هدفه في الأساس التأريخ للشّعب البحريني بعيدًا عن أي نظام حاكم أو أي تأثير سياسي ذي بعد «قمعي» أو «نفعي»»، موجهًا الشكر إلى المركز لعمله الدؤوب، لافتًا إلى أنه «لن تقوم للحضارة المشرقية أي قيامة من دون العودة إلى تراثها الخصب وإرثها الحضاري المنتشر».

«أرشيفو»: مجلة بحرينية تتجول في الذاكرة

وفي إطلالة على مجلة «أرشيفو»، وهي أحد إصدارات المركز، تحدثت سكرتيرة تحرير المجلة آلاء هاشم عن كونها «خطوة بارزة تقي الوجود من مخاطر العدم»، وقدمت «أبواب المجلة التي تتراوح بين إبراز الأرشيف كعلم والأرشيف كواقع عملي مُطبَّق ومُعاش، وتسلط الضوء على مفاهيم الأرشيف وقضاياه واشكالاته، كما تعرض تجارب أشخاص ومؤسسات في التعامل مع الأرشيف على مستوى العالم العربي بجانبيه الشفهي والمكتوب، وتروي حكايا كانت قد تخبأت في زوايا ذاكرة الناس»، مؤكدة أن «أرشيفو ما كانت لتُبصر النور لولا جهود القديرين ممّن يهتمون بالتاريخ والذاكرة لأجل الحقيقة وصونها وإعلاء شأنها».

واختتم الحفل بعرض فيديو يشرح كيفية العمل على محرك البحث، وبتوزيع العددين الأول والثاني من مجلة أرشيفو على الحضور.

أرشيفو
ARCHIVO
نشرة تهتم بموضوعات الأرشيف تصدر عن
مركز أوال للدراسات والتوثيق
العدد 3 - آب/ أغسطس 2016

فيها ما الذلة

ذاكرة الصورة

سند..
قصّة أرض بحرينية طيّبة

د.حسين سلمان

للأماكن والبلدان قصصٌ يرويها كبارُ السّنّ من أهلها، تحمل بعضها معلومات وحقائق، فيما يحمل البعض الآخر أساطير وخرافات. قرية سند[1] البحرينيَّة هي إحدى القرى التي تتأرجح الحكايات المروَّية عنها بين الحقيقة والخرافة. تتعدد الروايات المتناقلة بين الناس عن أصل التسمية، فلا يُعرف على وجه التأكيد سبب تسميتها بسند، وتوجد في المرويات الشفاهية عددٌ من الأخبار غير الثابتة. وقد تباينت الأقوال والتّحليلات فيها لاختلاف وجهات النظر وتفاوتها.

كبار السنّ ينسبون اسم القرية إلى رجل قطنها قـــديماً، وهي فكرة قديمة متداولة في عهود سابقة، ومستمدة من الذاكرة الشّعبية، والبعض الآخر يرى أن الاسم جاء من العلاقة التي كانت تربط سند بالقرى المجاورة لها، إذ كانت تستند إليها في الحصول على الماء والطين المستخدمين للبناء في ذلك الوقت. وثمة من نسب الاسم إلى العامل الجغرافي بحكم موقع القرية، ذلك أنها أرض سهليَّة نخفضة.

ولعلّ الرأي الأخير هو الأقرب إلى الصَّواب، ذلك أن مؤيّديه ذهبوا في تعليل اسم القرية إلى الأصل اللغوي، كما أنّ الموقع الجغرافي يدعم هذا الاحتمال، ولا تزال الآثار الدالة عليه واضحة، رغم التغيرات الطارئة عليه.

البساتين معاطف للأرض

تتمدد القرية على مساحة تبلغ حوالى 8,5 كيلومترات مربعة، في منطقة زراعية تمتاز بالبساتين والحقول والعُيون والآبار الطبيعية وأشجار النّخيل التي تسقى عبر قنوات الرّي الموجودة في باطن الأرض، أو الجداول المصطنعة فيها.

أشجار القرم التي تشتهر به قرية سند

هذه الميزة الزراعية جعلت من القرية موضع اهتمام الآخرين، كما تدل إحدى الوثائق المخطوطة باليد[2]، التي تتعرض لقرية ســـــند وسيحتـــــــها[3]. وتدعم هذه الفكرة بعض الشّخصيات المشهورة في المنطقة، كيوسف بن محمّد النّويدراتي، وهو جد الخطيب النّويدري الملا الحاج حبيبي جد الأستاذ علي ماجد، وهو عالم دين معروف في منطقته [4].

تقع القرية في الجزء الشّرقي من جزيرة البحرين، تحدها من الشمال قرية جرداب، ومن الجنوب قرية النّويدرات، ومن الغرب الرّفاع الشّرقي. وبحسب الوثيقة المشار إليها أعلاه، يمكن القول كذلك بوجـــــود هذه القـــرية بتاريخ إصدارها 1234هـ/ 1819م، أي بعد دخول آل خليفة إلى البحرين بسبعة وثلاثين عاماً [5].

فرادة النسيج الاجتماعي

سكان قرية سند اليوم تجاوزا الـ 25 ألف نسمة. وهذا العدد يحكي عن حركة نزوح كثيفة شهدتها القرية، نتيجة التوسّع العمراني. ومعظم تركيبة السكّان فيها من العرب البحرانيين الذين يتبعون مذهبياً الطائفة الشّيعيّة الإماميّة،

كما هو حال جيرانها من القرى المحيطة بها، وهم سكّان القرية الأصليون الذين امتزجوا بروابط الزّواج، وكوّنوا نسيجها الفريد، حيث أجواء التّراحم والتوادّ والتواصل والتّكافل التي تزداد في المناسبات.

تربط بين السكان علاقات نسب ومصاهرة، وهم يسكنون في منازل متجاورة تقع معظمها في داخل القرية ووسطها، كانت بالأمس تصنع مِنْ سعف النّخيل[6] المعتمدة قديمًا في بناء المنازل. ومع تطوّر البناء، مُزج سعف النّخيل بالحجارة والجص في الجدران، وبُني ما يُسمّى «البرستج»، وهو الكوخ الصّغير الذي يعتمد بناؤه على منتوجات النّخيل، ولا سيما الجذوع والسّعف، قبل التحول إلى بناء البيوت بالإسمنت والحجارة والطابوق. وعندما نمت القرية جراء التطوّر العمراني في البحرين، امتدّ العمران إلى نواحيها كافة، فتوزّعت مساكن الأهالي الأصليين بين الأحياء القديمة والحديثة، وتفاعلت القرية مع القرى المجاورة بشكل جيّد، حيث توطدت علاقات المصاهرة والعمل والتعاضد في الأفراح والأتراح.

أمّا السكّان الجدد، فهم من الوافدين من القرى المجاورة، ومن أهالي المنامة، والمحرّق، وسائر مناطق البحرين. ويأتي بعدهم في العدد العجم، الذين يتوزّعون في القرية في المناطق الحديثة، ويسكن بعضهم في وسط القرية أو في محاذاتها وعلى أطرافها، وغالبيتهم من الشيعة. ويأتي بعدهم بعض السكان الحديثي الإقامة فيها، وهم من السّنة، وأغلبهم هولة على المذهب الشّافعي، ويسكنون في المناطق الحديثة، وتحديداً في تخوم القرية الجديدة.

تربط بين السكان علاقات نسب ومصاهرة، وهم يسكنون في منازل متجاورة تقع معظمها في داخل القرية ووسطها، كانت بالأمس تصنع مِنْ سعف النّخيل المعتمدة قديمًا في بناء المنازل

التعليم الدّيني للأطفال في أحد مساجد القرية

ثروة الناصفة سبب تعاستها

كانت النّاصفة، كما تعرفها بعض المراجع التاريخية[7]، قرية صغيرة قديمة خُرّبت منذ زمن، تتضمن أطلال منازل ومَساجد تدل على عمرانها وازدهارها في عصرها. والمقصود بعصرها هو ذاك الزّمان الذي سبق الموقعة التي سُجلت باسمها في التّاريخ في العام 1842م/ 1258هـ.

تميزت المنطقة بمزارعها وقربها من البحر، ولكنّ هذا الموقع وثروته المائية والزّراعية، جرّا التّعاسة على سكّانها، إذ قام الغُزاة بوضع أيديهم على أراضيها وعيونها العذبة، وجعلوها مزارع ومنتزهات خاصة بهم، وأقفلوا البحر والسّاحل في وجه أهلها وأهالي المنطقة المحيطة بها، ولذا هجرها الفلاّحون في تلك المرحلة الصّعبة والشّاقة من تاريخ البحرين بعد غزو القبائل البدوية لها.

ساهم موقع هذه المنطقة في أنْ تكون محطة نِزال وصراع دموي خلال حقبة الصّراع الدّاخلي على السّلطة بين القوى المحليّة بالبحرين. وكان من حظّ هذه القرية الصّغيرة الآمنة الوادعة، أنْ تبتلى بشرور الوضع السّياسي وحروبه الدّاخلية في منتصف القرن التّاسع عشر للميلاد، إذ وقع فيها أوّل صدام مُسلح في معركة حاسمة، جراء مسلسل الصراع على السلطة، عندما تواجه الشيخ محمّد بن خليفة بن سلمان بن أحمد الخليفة، وعمّه لأبيه الشّيخ عبدالله بن أحمد الخليفة، في منتصف العام 1842م/ 1258هـ في مزارع النّاصفة المثمرة. ولعلّ شاعر البحرين الجاهلي طرفة بن العبد قد عناها بقوله:

كأنَّ حُدُوجَ المالِكيَّة غُدوةً
خَلايا سَفينٍ، بالنّواصِفِ مِنْ دَدِ [8]

اختار الفريقان المتنازعان المنطقة لكثرة المياه العذبة الموجودة فيها والأشجار المثمرة، ما وفر موقعاً مناسباً للحرب المفاجئة. التقى الجانبان، كما تذكر بعض المصادر، في النّاصفة في جزيرة سند، واقتتلا قتالاً شديداً، إذ سالتِ الدّماء بين الجانبين المُتصارعينِ على تربتها الخصبة، وبين نخيلها وأشجارها وعيونها الغزيرة. وكان الفوز في هذا النزال لمحمّد بن خليفة، وتراجعتْ جموع عبدالله من النّاصفة هاربة إلى منطقة الخميس مرة أخرى، فلحق بهم محمّد بن خليفة، وهناك وقعتْ معركة ثانية بين الجانبين، ولحقتِ الهزيمة بمحمّد بن خليفة، وانتصر عبدالله بن أحمد [9].

ازدهار القرية اقتصاديًا

خلال السّنوات العشرين الأخيرة، حدثت تغيّرات متسارعة مهمّة في سند، فبعدما كان اقتصادها يعتمد على الزراعة، اتسعت البنى التحتية، وعُبّدت الشوارع، وتراصت المساكن على جوانبها، بعد تقديم تسهيلات مصرفية للسكان.

وفي خلال الطفرة الاقتصادية التي شهدتها البحرين أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات، انضم أهالي القرية إلى سوق العمل، كعمّال في الشركات، أو كموظفين مهنيين في مؤسسات القطاع العام أو الخاص، وتقلص دورهم كعمال في مجال الزّراعة بشكل لافت، وأصبح معظم المشتغلين فيها من الوافدين من الجنسيات الآسيوية، كالهند وباكستان وبنغلادش.

كذلك، انتعشت القرية تجاريًا واقتصاديًا، حيث افتتحت في هذه الفترة الكثير من المحال التّجارية والمصانع، كما افتتحت بعض المصارف الكبيرة العاملة في البحرين فروعاً فيها.

وجوه المكان الاجتماعية

تتميز القرية بالعلاقات الاجتماعية التي تربط أهلها، والتعاون والتكاتف القائم فيما بينهم. وحتى زمن غير بعيد، كان منزل العائلة يحتضن الأبناء جميعًا، ثم يتّسع مع زواجهم، ليضمّ الزوجة والأحفاد. هذا التقليد ما زال موجودًا، ولكن في نطاق ضيق، إذ أخذت الأسر النووية بالظهور بصورة ملموسة خلال السنوات الثلاثين الماضية.

كذلك، شهدت مراسم الخطوبة والزواج بعض التغيير. فقديمًا، كان الوالدان يختاران الزوجة المناسبة للابن، وكان زواج الأقارب رائجًا، حيث يقضي القرار غالباً باختيار إحدى القريبات عروسًا للابن. أما الخيار الآخر الذي يلجأون إليه، فهو حتمًا يعود إلى الأم، التي تبحث عن زوجة ذات مواصفات محددة، من حيث العائلة الكريمة والأخلاق الحميدة والسمعة الطيبة والجمال وسواها من الشروط. ولم تكن سند تنفرد بهذه الظاهرة، شأنها في ذلك شأن سائر القرى آنذاك.

أمّا اليوم، فإن معظم هذه العادات قد تغيرت، فصار اختيار العروس رهنًا بقرار الابن وحده، وصار تدخل الأهل في شؤون ابنهما أو ابنتهما محدودًا، سواء في إدارة البيت أو في تربية الأبناء أو غير ذلك.

«المجالس» المنتشرة في سند وغيرها من قرى البحرين تبدو الوجه المشترك بين الأمس واليوم، وهي عبارة عن غرف مخصّصة لاستقبال الضيوف. وتقضي العادات الاجتماعية بتكريم الزوار وأداء واجب الضيافة معهم، كلّ عائلة تبعًا للوضع الاجتماعي الخاصّ بها. وفي هذه المجالس، يلتقي الناس ويتبادلون أطراف الحديث والقضايا المتعلقة بالوضع الاجتماعي وغيرها من المواضيع.

وللمناسبات الدينية، كالأعياد مثلًا، أجواء مميزة في سند، حيث تشرع أبواب مجالس جميع البيوت، وتقدم الموائد والمأكولات، وتتوطّد أواصر المحبة والوئام والألفة، وينتقل الأهالي من بيت إلى آخر في جوٍّ حميمي، على امتداد أيام العيد.

ومع حلول شهر محرم الحرام، تنصب قرية سند، مثل غيرها من القرى الشيعية، مآتم العزاء تعظيمًا للشعائر الحسينية، ويُنتدَب لإحياء المناسبة خطباء من خارج القرية. ويبلغ عددها اليوم عشرة مآتم، أربعة منها للرجال، وستة للنّساء. وتقام هذه الشعائر أيضًا في ذكرى وفيات الأئمة وولاداتهم، حيث تُطرح شتى الموضوعات الثقافية والتوعوية.

د . حسين أحمد سلمان: ، خريج جامعة منوبة بتونس في مرحلة الدكتوراه ، وجامعة القديس يوسف بلبنان في مرحلة الماجستير ، أستاذ جامعي ، واختصاصي إشراف تربوي بوزارة التربية والتعليم له مشاركات في عدد من المؤتمرات الدولية ، ولديه اهتمامات بالشأن الثقافي حضورا ومشاركا
للتواصل عبر الإيميل almoradi63@ hotmail.com

الفزعة والتّعاون من شباب القرية عند بناء نادي سند عام 1972م

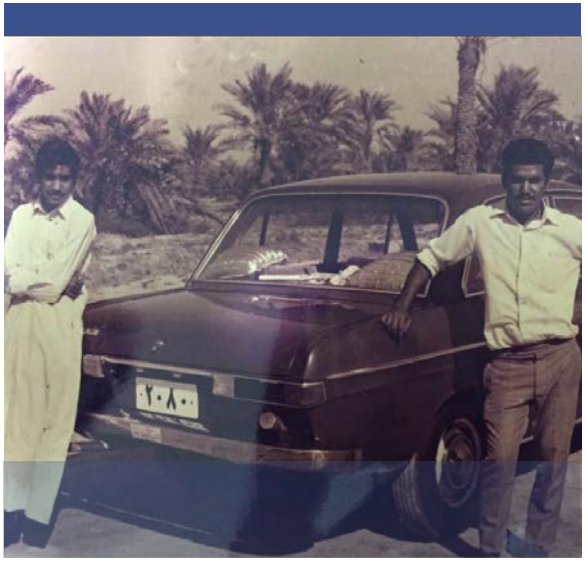

صورة قديمة أخذت في ستينيات القرن الماضي لشباب من القرية

صورة أخذت في السّتينيات لأحد المساكن المصنوعة من سعف النخيل أو بإحدى المزارع

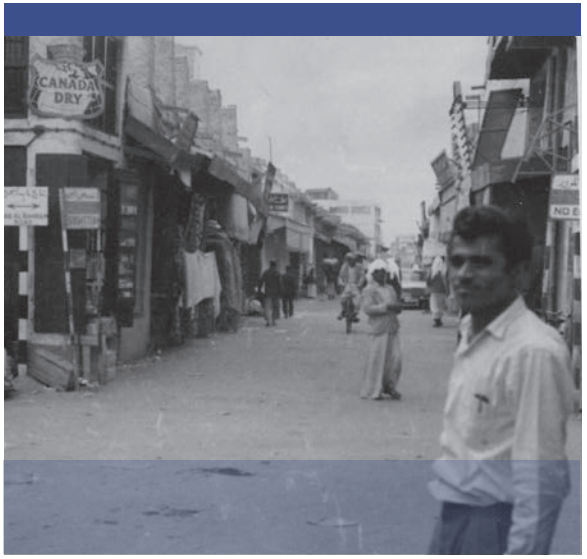

سوق المنامة القديم

صورة قديمة لعين كبرى بقرية سند ، وهي من أشهر العيون الطبيعية ، وقد تحوّلت الآن إلى أرض جرداء بعد نضوب مائها

أحد بيوت القرية القديمة

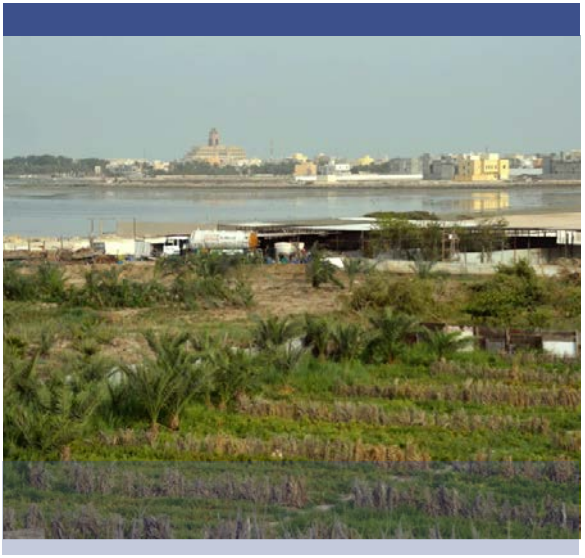

احد البساتين الموجودة في القرية

أحد مآتم القرية (مأتم الحاج علي الملا)

المصادر والمراجع:

1. هذا الفصل مستلّ من كتاب سيصدر قريبًا يحمل اسم (سند: الأرض الطيبة)، يغطي جوانب كثيرة من المعلومات عن القرية ومعالمها، كالمآتم، والمساجد، والمدارس، والعيون، والأنشطة الرياضية، وتاريخ تأسيس النادي، وجمعية سند الخيرية، وغيرها من الأمور المتعلقة بالقرية. وكلمة «سَنَد» تلفظ مُحرّكة، بفتح السّين والنّون، وهي من مشتقات الأصل المركّب من الحروف الثلاثة (س، ن، د). ولهذه المادة في اللّغة وضع ومعنى، ولها أيضاً مغزى اصطلاحي وراء الأصل اللّغوي. وللوصول إلى ما تنطوي عليه كلمة «سَنَد»، لا بدّ من الإحاطة بكلّ ما لمادة «سند» ومشتقاتها، قال الفيروزآبادي: سَند الجبل والوادي هو مرتفع من الأرض في قبله، والسَّنَدُ محرّكةً: ما قابَلَكَ من الجَبَلِ، وعَلاَ عن السَّفْحِ، ومُعْتَمَدُ الإِنْسانِ، وضَرْبٌ من البُرودِ، أي الثياب، ج: أَسْنادٌ، أو الجمعُ كالواحِدِ. وقال الفيومي صاحب المصباح المنير: السّند ما استندت إليه من حائط أو غيره، وقال ابن منظور في اللسان: السَّنَد: ما ارتفع من الأرض في قبل الجبل أو الوادي، والسّند بلد معروف في البادية، ومنه قول الشّاعر: يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْياءِ فالسّند، والعَلياءُ: اسم بلد آخر.

2. أعطاني هذه الوثيقة الأستاذ الباحث يوسف يعقوب مدن، بتاريخ 2016/2/22م، صاحب كتاب «قرى البحرين الثلاثمئة والستون بين الحقيقة والوهم»، الصادر عن مركز أوال للدّراسات والتوثيق.

3. هي الأرض الزراعية الكبيرة أو المنطقة الزراعية التي تحد القرى باستثناء البيوت الموجودة فيها. انظر: مناف حمزة، معجم التعمير والخرائط والوثائق العقارية، ص 19.

4. قدم آل خليفة من الزبارة إلى البحرين في العام 1197هـ/ 1783م.

5. وبعد سؤال الباحث محمد حميد السلمان عن قراءته لهذه الوثيقة أفادني بالآتي: «بعد دراسة الوثيقة بما حوته من كلمات، لم نجد فيها ما يساعدنا على تحديد تاريخ معين لسند، ولكن بحسب مقارنتها بأمثالها وبتاريخ البحرين في تلك الفترة، وبعمر النخيل حتى تترعرع وتكبر وتباع الأرض بما فيها من نخل مثمر، فليس الهدف الأرض، بل الشراء، يتم لما فوق الأرض من ثمار تدر أرباحًا أو تعين مالكها الجديد على أمر اقتصاد ما، فتاريخ الوثيقة هو 1819/7/30م، وهي فترة حكم الشيخ سلمان بن أحمد، وبمساعدة أخيه عبد الله بن أحمد، وهي فترة قضاء الأسطول الإنجليزي على القواسم في رأس الخيمة، وبدء تطبيق اتفاقية السلام الدائم بين إمارات الخليج وبريطانيا، ولكن يمكن معرفة تاريخ تقريبي لنشوء القرية في الوقت ذاته لهجرة معظم الأسر والعوائل البحرانية من جو وعسكر والفارسية بعد العام 1783، كما هو الحال مع نشوء المعامير وبعض قرى سترة وأجزاء من دار كليب، وربما يمكن وضع تقريبي عام، وهو الربع الأخير من القرن الثامن عشر للميلاد، وعلي أية حال عمر القرية من خلال الوثيقة أكثر من 200 سنة، هذا إذا رجعنا إلى عمر نمو النخيل لجيل واحد على الأقل».

6. وهناك رواية لم تسند إلى مصدر، تزعم أنّ أهالي سند كانوا يقطنون منطقة الناصفة، إحدى أنحاء القرية بجانب ساحل خليج توبلي، حيث يعتمدون في رزقهم على صيد الأسماك والغوص والزراعة، ولكنهم نزحوا إلى داخل القرية، المعروفة حاليًا بسبب حدوث حريق لم يستطيعوا السيطرة عليه ومقاومته وقد قضى على منازلهم جميعاً.

7. الناصفة: موضع يتسع من الوادي، والناصفة مجرى الماء في الوادي، والناصفة من الأرض: رحبة بها شجر، وجمعها نواصف، وقيل غير ذلك: انظر لسان العرب: مادة نصف، ج 9، ص 333 - 334.

8. الخطيب التبريزي، شرح القصائد العشر، معلقة طرفة بن العبد، ص 97، وانظر موسوعة تاريخ البحرين، ص 159.

9. انظر: موسوعة تاريخ البحرين (البحرين 2009)، ج 2، ص 159-160، صحيفة الوسط، البحرين، العدد 2009، 7 مارس 2008م. طهبوب، فائق حمدي، تاريخ البحرين السياسي 1783-1870 (الكويت 1983)، ص 213. محمد علي التاجر، عقد اللآل في تاريخ أوال (البحرين 1994)، ص 122، النبهاني، محمد خليفة بن حمد، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (بيروت 1986)، ص 108. الخليفة، عبدالله بن خالد، وأبا حسين، علي، تاريخ الخليفة في البحرين (البحرين 2005)، ج 2، ص 168، وانظر كذلك: الشيخ إبراهيم المبارك، حاضر البحرين، ص50.

Records of Bahrain: Primary Documents 18201960-(London, 1993), Vol. 1, pp. 501506-.